﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

رسالة المسجد

السنة 19 - العدد 2 / 1442 - 1443 هـ - 2021 م

مجلة محكمة تصدر عن وزارة شؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

- منظومة التعليم القرآني بالجزائر الرواية والشكل
- سلطة الحاكم في تقييد المباح
  -الحجر الصحي للوقاية من جائحة كورونا نموذجا-
- سد الذرائع الأصولي وخصوصيته عند المالكية
- قراءة في كتاب« بذل المعون في فضل الطاعون»

العدد : 02

رسالة المسجد

مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

الدكتور يوسف بلمهدي
وزير الشؤون الدينية والأوقاف

المدير العام مسؤول النشر

مستشار المدير العام: **الأستاذ الدكتور محند أو إدير مشنان**، مفتش مركزي

رئيس التحرير: **الأستاذ محند عزوق**، مدير التوجيه الديني وإدارة المساجد

مساعرة رئيس التحرير المكلفة بالترتيبات الإدارية: **الأستاذة وهيبة بوداموس**، المديرة الفرعية للمواقيت الشرعية والمناسبات الدينية

مساعر رئيس التحرير المكلف بالترتيبات الفنية: **الدكتور بلال سعيدان**،
المدير الفرعي لتحسين المستوى وتجديد المعلومات

هيئة التحرير

- أ. د. **محمد يعيش**، عميد كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر.
- أ. د. **عمار طالبي**، باحث جامعي.
- أ. د. **موسى إسماعيل**، باحث جامعي، جامعة الجزائر.
- د. **عمر بافولولو**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
- أ. د. **مصطفى باجو**، باحث جامعي، غرداية.
- أ. د . **سليمان ولد خسال**، رئيس المجلس العلمي - كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1
- أ.**يوسف حفصي**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
- د. **نصر الدين وراش**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف
- أ . **سميرة مخالدي**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

المحتويات

■ **الافتتاحية/ السيد الوزير** — أ.د. يوسف بلمهدي — 3

كلمة السيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف في الأسبوع الوطني 23 للقرآن الكريم 2021

■ **دراسات:**

منظومة التعليم القرآني بالجزائر الرواية والشكل — د. حسين وعليلي — 9

النظريات اللاهوتية لملك المسيح الألفي في الديانة المسيحية — أ. زيلمي ضاوية — 25

سد الذرائع الأصولي وخصوصيته عند المالكية — د. فتيحة دوار — 41

■ **ملف العدد:**

سلطة الحاكم في تقييد المباح
-الحجر الصحي للوقاية من جائحة كورونا نموذجا- — أ. خليفة بشاطة — 59

قراءة في كتاب« بذل الماعون في فضل الطاعون» — أ. سميرة مخالدي — 81

■ **من أعلام الجزائر**

الإمام المقرئ أبو القاسم الهُذلي البِسكِري
صلة علمية بين الغرب الإسلامي وشرقِه — د. عبد الهادي لعقاب — 90

■ **نشاطات القطاع**

- نتائج جائزة الجزائر 2021 — المديرية الفرعية للتعليم القرآني — 112
- الأسبوع الوطني 23 للقرآن الكريم لعام 2021 — بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف
- بيان وتوصيات الأسبوع الوطني 23 للقرآن الكريم لعام 2021

■ **خطبة العدد**

المولد النبوي بعث للمحبة والشكر — أ. بشير قدوري — 121

كلمة السيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف،
أ.د. يوسف بلمهدي
في فعاليات الأسبوع الوطني 23 للقرآن الكريم لعام 2021 - الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما أجمل أن تتاح هذه السوانحُ والمنحُ الربّانية، التي يجتمع فيها شرفُ المكان والزمان، وشرف الحضور والمناسبة، ففي رحاب وطننا المفدى، وفي مدينة سيدي عبد الرحمن الثعالبي، نحيا على عبق ذكرى مولد النبي المختار عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ونستعدُّ لاحتفالات ذكرى ثورة نوفمبر الخالدة المجيدة..

ونسعد في هذا المقام السنّي الكريم، في رحاب الأسبوع الوطني للقرآن الكريم في طبعته الثالثة والعشرين (23)، الذي تحتفي فيه الجزائر على عادتها بالقرآن وبأهل القرآن، أهل الله وخاصته، الذين نذروا أنفسهم خدمةً للقرآن الكريم تحفيظًا وتعليمًا، وإقراءً وتفسيرًا، فكانت بيوت الله والمدارس القرآنية والزوايا عامرة بالمعلمين والمتعلمين، وتواصلت رغم الوباء، تتنزّل عليها الملائكة وتغشاها الرحمة، وتحلُّ بالأمّة السكينة وتعمّ البلد طمأنينة ويدفع البلاء، ويفيض خير للخلق يمون لا مقطوعٌ ولا ممنونٌ، كما أخبر المصطفى ﷺ: **((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده))**.

والتفاتًا إلى هذه الجهود الطيبة المباركة في خدمة القرآن الكريم، وتثمينا للدور الرائد الذي قدمه أهل القرآن الكريم، وأئمة المساجد، **أقرّ رئيس الجمهورية السيد عبد**

المجيد تبون يوما وطنيا للإمام، رمزا لكل القائمين في المساجد والمدارس القرآنية والزوايا على خدمة القرآن الكريم وتعليم الناس وتربية المجتمع.

إن هذا المحفل المبارك الكريم يلتئم اليوم في هذا الأسبوع الوطني للقرآن الكريم من العلماء وشيوخ الزوايا والأئمة، وأساتذة الجامعة، وبناتنا وأبنائنا من حفظة كتاب الله تعالى، ليتدارسوا على مائدة القرآن الكريم وهديه القويم، موضوع «حبّ الوطن قيمة أخلاقية، والتزاما وطنيا»، وهو موضوع في غاية الأهمية والحساسية والنبل، لما فيه من المزاوجة والمواءمة بين الدين والوطن.

إن معاني حبّ الوطن، والاعتزازبالانتماء إليه، والولاء له، تبقى من أقوى القيم النابعة من الفطرة الإنسانية السليمة، والتي تجدد فينا مع طلعة كل شمس، وشهقة كل نَفَس، تذكيها محطات مجللة بلباس الشهداء من سندس خضر وإستبرق، وما أكثرها وأعظمها وبين أيدينا شواهد لا تعد ولا تحصى ومنها محطة 17 أكتوبر الخالدة، التي قدم فيها المهاجرون للجزائر من التضحية ألوانًا، وأضافوا للذاكرة الوطنية فصلًا وعنوانًا، وكانوا لحبّ الوطن لسانًا وبيانًا.

ولعلّ هذا هو سرُّ ارتباط الإنسان بوطنه الأم، مهما تناءت الديار وبَعُدَ المزار، وهو حبٌّ طبيعي جبلّي:

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الأَرْضِ يَأْلَفُهُ الفَتَى

وَحَنِينُهُ أَبَدًا لأَوَّلِ مَنْزِلِ

ولكنه حبٌّ مدعوم بمبادئ العقل، وأدلة النقل، ومقتضيات المصلحة، وهو من أقوى الأسباب التي توجه الإنسان في أداء رسالته ومهامه، ومن المؤثرات الكبرى في توجيه الحياة وضبط مسارها، ومن ثمَّ فلا جرم أنه أهمّ الموضوعات التي شغلت الرأي العام للمجتمعات عبر التاريخ، بل حيّرت الباحثين والمراقبين لتاريخنا المجيد..

فكلما استحكمت للشدائد حلقاتها، وجدوا هذا الشعب مضربًا للمثل، مثيرًا للجدل: فما سرّ هذا الارتباط بين شعب وأرضه؟!.. فطرة سوية وإرادة قوية، وذاكرة أمّة تطاول الجبال راسخة لدى الأجيال عصية على محاولات الطمس والاغتيال.

إن الإسلام السمح الكريم، دين الفطرة الإنسانية السليمة، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[الروم/29]،

وقد جاءت آي القرآن الكريم، وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، متناغمة مع مقتضيات الفطرة، معززة لقيمة الأوطان في منظومة الكون ومسار الحياة، خادمة للمقاصد الضرورية الكبرى، التي جاءت كل الشرائع للحفاظ عليها وجودًا وعدمًا..

بل علمنا القرآن الكريم أن نجعل له من دعائنا نصيبًا ومن صلاتنا سهمًا: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[البقرة/125] والدعاءلأوطاننا بالسخاء والرخاء علامة حبّ وصدق انتماء، تمامًا كما علّمتنا السنة النبوية المباركة: «**اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ**» [مسلم 473/1373].

لقد صوّر لنا القرآن الكريم مشاعر الحزن والأسى والألم التي تفجرت بها قلوب قوم أخرجوا من أوطانهم، وسلبت منهم ظلمًا وعدوانًا، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾[سورة الحج/38]، وهذا ما فعله الاستعمار البغيض بآبائنا وأجدادنا، الذي ضحوا بالنفس والنفيس، وجاهدوا في سبيل الدين والوطن، مستمسكين بقول الله عزوجل:

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾ [البقرة/244].

فقد اقترن حبّ الوطن والانتماء إليه في القرآن الكريم بمقصد الدين، قال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ [الممتحنة/8].

وارتبط أيضا بمقصد النفس، قال الله سبحانه :﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُواْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾ [النساء/65].

واقترن أيضا بمقصد المال ((ومن قُتلَ دُونَ مَالهِ فَهو شَهيد))، وكسب هذا المال وإنباته وإنماؤه يكون في وعاء اسمه الوطن.

ونستحضر هذا الأسى والألم أكثر حين نذكر حبيبنا محمدا ﷺ حين أخرج من مكة اضطررًا، وحين تعلق بالمدينة مسكنًا وقرارًا وقال لها «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**» [الترمذي، 3926، وهو صحيح. دعاء حيث نبت، «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**» [موطأ الإمام مالك 667/3318، والبخاري، 1889]. دعاء حيث ثبت.

أيّها الجمع الكريم من أهل الله وخاصته،

اسمحوا لي أن أتقاسم معكم فهمًا رائقًا، ونظرةً عميقةً، أكرم الله بها إمام نهضة الجزائر، ورائد حركتها العلمية الإصلاحية، الإمام ابن باديس الصنهاجي، وهو من أبناء الجزائر البررة، شُغف بها حبًّا، وسكنته قلبًا ولبًا فسخر حياته كلها في خدمتها، ففي ختم تفسيره لكتاب الله تعالى استشهد بقول النبي ﷺ: «**بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا**» [البخاري، 5745، ومسلم، 54/2194]..

«إن تربة الوطن معجونة بريق أبنائه، تشفي من القروح والجروح، إنه درس في الوطنية عظيم، ولو أنصف المُحدّثون لما وضعوه في باب الرقى والطب، فإنه بباب «**حُبِّ الوَطَنِ**» أَشْبَهُ».

إن منّة الوطن علينا تستدعي التذكير بمبدأ المواطنة، واضطلاع المواطنين بواجباتهم نحووطنهم، فهذا هو السبيل الذي يمنح معاني حبّ الوطن، والاعتزازبه، والافتخاربالانتماء إليه، ويذكي جذوة الحركيّة والفعالية، وذلك بتحمل الالتزامات والقيام بالمسؤوليات، واحترام وتمجيد رموزه وتاريخه ورجالاته، وحماية حدوده ومكوّناته، والدفاع عن كل شبر فيه، وصيانة وحدته وسيادته..

وأنه من الخيرلنا ولأبنائنا أن نربط مصيرنا بمصير الجزائر كلّها.. وأن نجيب كلّنا بكلمة واحدة «إننا نريد أن نكون دائما جزائريينّ، كما قال أحد علمائنا.

إن من واجبنا المقدس اليوم وفي كل حين التعاون بين كل مؤسسات المجتمع وسائر المواطنين في خدمة الوطن وتنميته، والعمل على ترقيته وازدهاره، خاصة مع التحديات والمؤامرات التي تستهدف بلدنا، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[المائدة/3]، مع إيثار المصلحة الوطنية العامة، على المصالح الشخصية الضيقة، فالحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء..

وإذا كان الإيثارفي حق الأشخاص عظيمًا، فإنّه في حق الأوطان أعظم، قال الله تعالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾[الحشر/9]، وإذا كان الشهداء الأبرار قد استشهدوا وضحوا بحياتهم من أجل الوطن، فحري بنا أن نعيش ونُسخِّر حياتنا من أجله، وليكن ديدننا وشعارُنا ما قاله إمام الجزائر ابن باديس: ((أعيش للإسلام والجزائر)).

ثمّ العمل الدائم واليقظة التامة للوقاية من العوامل والأسباب التي تضعف الروح الوطنية ومقومات المواطنة، وتسبب الفرقة والاختلاف والتنازع، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الأنفال/47].

وفي الأخير أهنئ كل القائمين على خدمة القرآن الكريم أئمة ومعلمين وشيوخ زوايا وعلماء وطلبة متسابقين والمساهمين ووسائل الإعلام لمرافقة لهذا العمل المبرور، فخيركم من تعلم القرآن وعلمه.

ولا يسعني في الختام إلاّ أن أجدّد ترحابي بكل ضيوف الأسبوع الأكارم شاكرا لهم تشريف الملتقى بحضورهم، آملاً أن يجدوا في محاوره العلمية وفي جلسات الإقراء والمسابقات ما يعرج بأرواحهم إلى مائدة القرآن الكريم، فيصدق علينا وعليهم قول ربّ العالمين كما ورد في الحديث القدسي:((**هم الجلساء الذين لا يشقى بهم جليسهم**)). فيا له من مجلس زكي الفوح طاهر الروح.

تحيا الجزائر، المجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

منظومة التعليم القرآني بالجزائر الرواية والشكل

بقلم د. حسين وعليلي
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

مقدمة:

إن عناية المجتمع الجزائري المسلم بالقرآن الكريم تلقيا وأداء؛ رواية وشكلا؛ تمتد عبر التاريخ؛ من طلائع الفاتحين في القرن الأول الهجري إلى يوم الناس هذا، ولم تنقص هذه العناية وذلك الاهتمام على رغم ما مرت به البلاد من حوادث، وخاصة فترة الاحتلال الفرنسي الغاشم، "فكل الذين درسوا موضوع التعليم في الجزائر غداة الاحتلال اندهشوا من كثرة المدارس وحرية التعليم وكثرة المتعلمين ووفرة الوسائل من أجل التعلم" (سعد الله، 1998، صفحة 3/19)، بل سجل لنا تاريخ الجزائر الحافل علماء برزوا في القرآن الكريم وعلومه، واشتهروا شهرةً طبّقت الآفاق، ورحل إليهم الناس من المشرق والمغرب طلبا لعلومهم، وألّفوا كتبا صارت من بعدهم مقررات في كبريات المعاهد المتخصصة، بل نظّروا لطرائق التدريس ومناهج التعليم، حتى أضحى مغرب الإسلام يمتاز عن مشرقه في طرق تدريس القرآن الكريم وفنونه، واستقل عنه في منظومته التعليمية.

والمتتبع للإطار العام للتعليم القرآني بالجزائر في سياقه التاريخي، يجده قد برز من خلال معالم هامة يمكن أن نجملها فيما يلي:

1. مؤسسات التعليم القرآني في الجزائر:

1.1 الكتاتيب

وهي أماكن معدّة لتعليم القرآن الكريم والكتابة وأساسيات اللغة العربية، تقوم مقام المدارس التحضيرية في وقتنا الحالي، وهناك يبدأ المتعلم حياته ، وتعَدُّ من أقدم مراكز التعليم نشأة، وكانت له مكانة عالية الشأن منذ القرون الهجرية الأولى، مع ملاحظة أن التلميذ يتلقى

مبادئ القرآن الكريم هناك بطريقة اللوح والقلم والمداد، وهي طريقة تربوية مفيدة، وقد كان من عادات العائلات الجزائرية أن تدفع بأبنائها إلى هذه الكتاتيب في سن مبكّرة جدا كما قال أحدهم:

وَلَدَتْني أُمّي بيُسْرايَ لَـوْحٌ

خَشَبِيٌّ وَفِي يَمِيـنِي يـــَرَاعُ

دَفَعَتْنِي للحَيَاةِ وَعَـادَتْ

للأعـالِي كَمَا يَعُودُ الشُّعَاعُ

تَرَكَتْنِي فِي رِحْلَةٍ بَدْؤُهَا الْـ

غَيْبُ وآخِرُهَا السَّبِيلُ المُشَـاعُ

أَنَا لِلَّوْحِ وَاليَرَاعِ حَلِيفٌ

حَبَّذَا اللَّوْحُ صَاحِبًا واليَـرَاعُ

2.1 المساجد:

بالإضافة إلى كون المسجد مكانا للصلاة والعبادة، فإنه كان ولا يزال المدرسة الأولى لتلقين القرآن الكريم وعلومه، بل إن كثيرا من المعاهد المتخصصة الآن إنما بنيت على أساس إضافتها إلى مساجد اشتهرت بازدحام الطلبة وانتشار ما يعرف بكراسي العلماء وحلقات حفظ القرآن، وما جامع الأزهر بمصر، والقيروان والزيتونة بتونس، والقرويون بالمغرب، ومعهد سيدي عبد الرحمن اليلولي وسيدي عقبة بالجزائر إلا أمثلة حية لهذا التفعيل الحضاري لدور المسجد.

وإذا كنا نعدُّ في جزائر الاستقلال نحوا من عشرين ألف مسجد؛ فإن هذا الأمر بقدر ما يدفع على التفاؤل بوجود روافد لاستمرار تعليم القرآن الكريم؛ بقدر ما يثقل كاهل المسؤولين عن هذه المؤسسات الدينية في المحافظة على المكانة التي كانت تتبوؤها فيما مضى، حتَّى في أشدِّ الفترات صعوبة وهي الحقبة الاستعمارية، التي حولت فيها فرنسا عشرات المساجد إلى كنائس أو مستودعات أو إسطبلات، ظنا منها أن ذلك سيقطع الصلة بين الجزائريين وبين القرآن الكريم.

3.1 الزوايا:

تعد الزوايا واسطة العقد في عملية تعليم القرآن الكريم وعلومه، فهي أكبر محضن لتدريس القرآن الكريم وعلومه،

ساعد على ذلك أماكن وجودها، وطبيعة تسييرها، فنظامها الداخلي الذي يؤمّن للطالب الإيواء والإطعام ساعد على الرحلة إليها للتفرغ لحفظ القرآن الكريم وأخذ العلوم الأخرى،وقد انتشرت في ربوع الوطن كافة وخاصة في منطقة زواوة التي وصل عددها خلال بعض الفترات إلى 42 زاوية (سعد الله، 1998، صفحة 3/180)، ومن بين الزوايا المشهورة في الجزائر:

1.3.1 زاوية سيدي يحي العيدلي (الحفناوي، 1906، الصفحات 2/463 - 467): أسسها الشيخ يحي العيدلي بتمقرة ولاية بجاية في أواسط القرن التاسع الهجري ، تتلمذ عليه فيها كبار العلماء كالشيخ أحمد زروق البرنسي، ثم هدّمت مرات عديدة في فترة الاحتلال، وقدمت أكثر من مائة شهيد من خيرة طلبتها، وقد تولى التدريس فيها علماء أجلاء آخرهم الشيخ محمد الطاهر آيت علجت الذي تولى مشيختها منذ سنة1937، وقد أعيد بناؤها بعد الاستقلال، وما تزال قائمة بمهام تعليم القرءان الكريم و بعض العلوم الأخرى إلى الآن (نسيب، 1998، الصفحات 169- 170).

2.3.1 زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي (مايمون، 2001، الصفحات 56 - 61): أسسها الشيخ اليلولي سنة 1044هـ/ 1635 م، بإشارة من شيخه محمد السعدي الهلولي، وهي أشهر زاوية بمنطقة القبائل، عُرفت بتخصصها في علم القراءات، تحولت بعد استقلال الجزائر إلى معهد وطني لتكوين الأئمة (نسيب، 1998، الصفحات 130 - 149).

3.3.1 زاوية الهامل: أنشأها الشيخ محمد بن أبي القاسم سنة 1849م ببوسعادة، واستعان على التدريس فيها بعلماء مرموقين من أمثال محمد بن عبد الرحمن الديسي، وعاشور الخنقي وغيرهما، مما جعل إقبال الطلبة عليها كبيرا فقد بلغ عددهم نحو الألف في بعض فتراتها (سعد الله، 1998، الصفحات 3 /218 - 223).

4.3.1 مدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير: التي أنشأها الشيخ سيدي محمد

بلكبير، في قلب ولاية أدرار، وتخرج منها آلاف من العلماء والأئمة، حملوا مشعل القرآن الكريم داخل الجزائر، إلى أن توفي سنة 1421هـ /2000م، وما يزالها عطاؤها مستمرا بفضل تلاميذه، وقد صارت الآن أشهر مدرسة لتعليم القرآن الكريم ومختلف الفنون في الجزائر.

وهناك زوايا أخرى في كل ربوع الجزائر تخرّج بها الآلاف من الحفاظ والقراء والعلماء يضيق المقام عن حصرها هنا (نسيب، 1998)

2. مراجع الإقراء في الجزائر:

اشتهر عبر تاريخ الجزائر علماء عرفوا بالتأليف في التجويد والقراءات، وقد لا يبالغ من اعتبر أن العناية بالإقراء والتجويد ملمح مشترك بين كل علماء الجزائر، واستقصاء أسماء علماء القراءات متعذر، لذلك أكتفي بنماذج على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر، ومنهم:

1.2 الإمام أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل الهذلي البسكري:

نسبة إلى مدينة بسكرة، الأستاذ الكبير، الرّحال، ولد في حدود 390هـ، له كتابه «الكامل» الذي يُعد أوسع كتاب في علم القراءات عبر التاريخ الإسلامي، ذكر فيه 365 شيخا في القراءات، توفي سنة 465هـ (ابن الجزري، 1932، الصفحات 2/397-401).

2.2 الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد العجيسي التلمساني،

العالم العلامة المفسر المحدث، أشهر علماء تلمسان في وقته، اعتنى بعلوم الشريعة تأليفا وتدريسا، ومنها القرآن وعلومه، ألف أرجوزة ألفية في محاذاة حرز الأماني، توفي بتلمسان سنة 842هـ (الكتاني، 1982، صفحة 1 /523).

3.2 الإمام أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي:

الإمام المفسر المقرئ المحدث، الجامع بين الرواية والدراية الحقيقة والشريعة، صاحب كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن، والمختار من الجوامع في محاذاة الدّرر اللّوامع، توفي سنة 875هـ (الحفناوي، 1906، الصفحات 1 /73 - 78).

4.2 الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي جمعة الوهراني: العلامة علي بن عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الحفاف: مفتي المالكية بالجزائر، أخذ عن كثير من علماء عصره، وألف رسالة سماها: «الدقائق المفصلة في تحرير آية البسملة»، كما ترك تأليفا ضخما قيّما في القراءات سماه: «منة المتعال في تكميل الاستدلال» وهو في شرح الشاطبية في القراءات السبع، توفي سنة 1307هـ (الحفناوي، 1906، الصفحات 2 /82 - 83).

5.2 الإمام محمد بن أبي القاسم البوجليلي: نسبة إلى قرية بوجليل ببجاية. الحسيني، ولد سنة 1826م، درَس في زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي على يد كثير من العلماء منهم: محمد اليراتني، والعربي الأخداشي، والشيخ بلحداد وغيرهم، برز في علوم عديدة، وتخصص في علم القراءات حيث ترك لنا كتابه القيّم التبصرة في قراءة العشرة، أثبت فيه سنده ، وهو كتاب جعله في تحرير طرق ناقع العشرة التي كانت تدرس في بلاد زواوة زمن المؤلف، توفي رحمه الله سنة 1898م (سعد الله، 1998، صفحة 4/170).

6.2 الإمام أبو عبد الله التنسي: هو الإمام المقرئ المحدث الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالجليل التنسي التلمساني، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد وأبي إسحاق إبراهيم التازي، وأبي الفضل بن الإمام وقاسم العقباني وغيرهم (التلمساني، 2013)، ألف كتاب الطراز في شرح ضبط الخراز خصَّصه لدراسة جزء الضبط من منظومة الخراز المسماة مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن، ولأهمية الكتاب فقد جاء في نص تقرير اللجنة العلمية التي أشرفت على إعداد مصحف المدينة النبوية على أنها: «أخذت طريقة ضبطه مما قرره علماء الضبط على حسب ما ورد في كتاب الطراز على ضبط الخراز للإمام التنسي» (التنسي، 1999).

ومع عناية الجزائريين بالقرآن الكريم وقراءاته عموما، فإن لهم عناية خاصة بقراءة نافع المدني من رواية ورش عنه، ومن المؤشرات الدالة على تمكن علماء

الجزائر من قراءة الإمام نافع أنه لم يكن يسمح في بلاد زواوة –زمن الاحتلال- بالتّصدر لتعليم القرآن الكريم لمن لم يتقن قراءة نافع بطرقها العشرة رواية ودراية . كما أخبرنا بذلك فضيلة الشيخ العلامة محمد الطاهر آيت علجت حفظه الله، إلا أن الاستعمار الفرنسي حارب هذه المدارس وقتل وشرد الطلبة والمعلمين، لذلك فإنه لم يبق اليوم في بلاد زواوة إلا النزر اليسير من الزوايا التي تهتم بالقراءات، ولعل أبرزها زاوية سيدي علي أويحيى بأعالي جبال جرجرة، الذي يسيرها فضيلة الشيخ سعيد قاضي.

3. طرائق التعليم القرآني بالجزائر:

تختلف طرائق التعليم القرآني في الجزائر بين تقليدي وحديث، أما التقليدي فإنه السائد في الزوايا الشهيرة ومدارس الصحراء القرآنية، والطالب فيها يدْرُس القرآن الكريم بطريقة اللوح، ومن أهم مميزات هذه الطريقة أن المتلقي يستفيد من علم الرسم والضبط، من خلال حفظ منظومة الجكني، أو منظومة الخراز، كما هو الحال في بعض الزوايا، بالإضافة إلى الاهتمام بمتشابه القرآن، من خلال حفظ الأنصاص والحطيات، كنظم الدنفاسي لصاحبه الإمام محمد بن إبراهيم الدنفاسي رحمه الله، ثم إن الطالب بعد إتمامه حفظ القرآن الكريم يتوجه إلى حفظ بعض متون التجويد كالدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع، ولكن ما ينقص أصحاب هذه المدارس هو العناية بتطبيق أحكام التجويد النظرية.

أما المدارس الحديثة فانتشارها في الحواضر والمدن الكبرى، وطريقة التدريس فيها تعتمد على التحفيظ من المصاحف على غرار طريقة المشارقة، ومن أهم خصائص هذه الطريقة الاهتمام بالتجويد والأداء، فأول ما يبتدأ به الطالب فيها إتقان جزء عم تجويدا وحفظا، ثم ينتقل إلى حفظ القرآن الكريم، كما هو الحال في مدرستي البيان بوادي سوف وعبد الحميد بن باديس بقسنطينة، وهاتان المدرستان من أشهر وأنجح نماذج هذا النوع من الطرائق، إلا أن الطالب فيها يحرم من تعلم رسم المصحف وضبطه.

وقد اجتهدت الوزارة الوصية من خلال لجنة صياغة المناهج في استحداث منهج يجمع بين التقليدي والحديث، وعممت برنامجا يراعي حال المتمدرسين في المدارس الحكومية النظامية، والمتفرغين، بل وأضافت إلى التعليم القرآني بعض العلوم الأخرى ليكون تكوين الطلبة متكاملا، وليؤهل المتخرج من هذه المدارس لدخول معاهد تكوين الأئمة المنتشرة عبر تراب الجزائر، وقد ارتأيت أن أنقل هنا نموذجا من هذا البرنامج المقترح، وهو كالآتي:

1.3 تقرير لجنة المناهج (هذا التقرير كنت قد أفدتّه من مديرية التعليم القرآني بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر قبل حوالي عشرة أعوام، وقد تم تحديثه مرات عديدة من طرف اللجنة المكلفة بالمناهج على مستوى مديرية التكوين بالوزارة، والقصد منه لفت النظر إلى مثل هذا العمل الجليل المؤسس علميا ومنهجيا).

المادة الأولى: يهدف هذا التقرير إلى تنظيم مستويات وأطوار التعليم القرآني وتحديد المناهج الدراسية المقررة.

المادة الثانية: يتنوع التعليم في المدارس القرآنية حسب المرسوم ..... إلى المستويات التالية:

1 -مستوى ما قبل التمدرس.

2 - مستوى المتمدرسين.

3 - مستوى الكبار والعمال والموظفين.

4 - مستوى المتفرغين.

المادة الثالثة: تنظم المناهج التربوية في مستوى ما قبل التمدرس كما يلي:

مستوى الروضة: يكتفى فيها بتعليم الأولاد بعض مبادئ الأخلاق الحسنة، والألعاب التربوية، وعلى المدرسة الروضة أن تقترح برنامجها على مصالح وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

المستوى التحضيري: تكون الدراسة فيها مقسمة إلى فترتين:

- فترة صباحية مخصصة للنشاطات التربوية التعليمية.
- فترة ومسائية مخصصة للأشغال اليدوية والمراجعة والكتابة.
- ويعتمد خلالهما النشاطات التربوية التالية:

- حفظ قصار السور.
- حفظ بعض الأحاديث النبوية الشريفة.
- تلقين بعض الأدعية والأذكار المأثورة وبعض بعض الآداب.
- تعليم مبادئ الخط والحساب.
- النشاطات الإضافية.

المادة الرابعة: تنظم المناهج التربوية في مستوى المتمدرسين، كما يلي:

المستويات الدراسية

المستويات	العمر المتوقع	الحصة المقررة من القرآن
الأول	6إلى 9 سنوات	حفظ 5 أحزاب سنويا.
الثاني	10إلى12 سنوات	حفظ 5 أحزاب سنويا.
الثالث	13إلى16 سنوات	حفظ 10 أحزاب سنويا.
الرابع	17إلى20 سنوات	حفظ 10 أحزاب سنويا.
الخامس	21 فأكثر	حفظ 10 أحزاب سنويا.

يراعى في تشكيل الأفواج تقارب السن.

الانتقال من مستوى إلى مستوى أعلى

يتم الانتقال من طور لآخر بعد استظهار الطالب للحصة المقررة من القرآن الكريم، ليس بحسب السن فقط.

ينبغي مراعاة الفروق الفردية، بحيث ينتقل التلميذ من طور إلى آخر إذا أكمل الحصة المقررةمن القرآن الكريم قبل بقية زملائه، وتمنح له شهادة حفظ الحصة المقررة في كل مستوى.

أوقات الدراسة

خلال السنة الدراسية	ساعتان في الأسبوع على الأقل لكل مستوى.
خلال عطلتي الخريف والربيع	ساعتان يوميا خلال الأسبوع الأول أو الثاني على الاختيار.
خلال العطلة الصيفية	ساعتان يوميا خلال شهر على الاختيار

تنظم مدارس قرآنية صيفية، يقرر فيها حفظ 5 أحزاب على الأقل، مع اعتماد بعض النشاطات الترفيهية، وتكريم الحفظة الذين استظهروا الحصة المقررة عليهم.

المواد الإضافية

بالنسبة للمستويين الأول الثاني يركز على تحفيظ القرآن الكريم فقط، مع مراعاة أحكام التجويد بصفة عملية.

بالنسبة لبقية الأطوار تضاف حصة لدراسة أحكام التجويد برواية ورش عن نافع، من كتاب بسيط ميسر تقرره إدارة المدرسة بالتنسيق مع مصالح وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

المادة 5: تنظم المناهج التربوية في مستوى الكبار والعمال والموظفين، كما يلي:

المستويات الدراسية

يراعى في تفويج الطلبة الفروق الفردية وفق مستوياتهم العلمية والفكرية:

المستوى الأول	للأميين الذين لم يسعفهم الحظ في التعليم ومن هم في مستواهم
المستوى الثاني	لمن تلقوا مستوى تعليميا متوسطا.
المستوى الثالث	لمن تلقوا مستوى تعليميا عاليا.

نظام الدراسة

- يركز على حفظ القرآن الكريم أساسا.

- يحدد الحجم الساعي للحفظ بساعتين أسبوعيا كحد أدنى، ويمكن الزيادة حسب الظروف والإمكانات المتاحة.
- يمكن إدراج بعض المواد في علوم الشريعة وخاصة أحكام التجويد والفقه المالكي حسب الاحتياجات والإمكانيات.

المادة 5: تنظم المناهج التربوية في مستوى المتفرغين، كما يلي:

مدة الدراسة

تحدد مدة الدراسة في المدارس القرآنية بـ 6 سنوات، في ثلاث مستويات، لتسنى للطالب حفظ القرآن الكريم كله، وتحصيل قدر معتبر من علوم الشريعة وبعض المواد الإضافية.

المواد الدراسية

حتى يحقق التكامل والتوزان ويمكن تحقيق الأهداف المتوخاة من التكوين في المدارس القرآنية،تم تحديد المواد التالية:

- حفظ القرآن الكريم.
- علوم القرآن.
- التفسير.
- أحكام التجويد
- علوم الحديث.
- الحديث التحليلي.
- العقيدة الإسلامية
- الفقه الإسلامي: عبادات ومعاملات.
- السيرة النبوية.
- التاريخ والجغرافيا.
- اللغة العربية.
- الرياضيات.
- اللغة الفرنسية.
- اللغة الإنجليزية.

تقسم هذه المواد على السنوات الست، ولا تتجاوز 8 مقررات في السنة الواحدة عدا حفظ القرآن الكريم، وفق حجم ساعي يتناسب مع حكم المقرر.

توزيع المواد على السنوات

السنة الأولى

حفظ القرآن الكريم	3 ساعات يوميا
العقيدة	ساعة أسبوعيا
الفقه	ساعتان أسبوعيا
السيرة النبوية	ساعتان أسبوعيا
اللغة العربية	ساعتان أسبوعيا
التاريخ	ساعة أسبوعيا.
اللغة الفرنسية	ساعة أسبوعيا
اللغة الإنجليزية	ساعة أسبوعيا

السنة الثانية

حفظ القرآن الكريم	3 ساعات يوميا
الفقه	ساعتان أسبوعيا
علوم القرآن	ساعة أسبوعيا
أحكام التجويد	ساعتان أسبوعيا
اللغة العربية	ساعتان أسبوعيا
التاريخ	ساعة أسبوعيا.
الرياضيات	ساعة أسبوعيا.
اللغة الفرنسية	ساعة أسبوعيا
اللغة الإنجليزية	ساعة أسبوعيا

السنة الثالثة

حفظ القرآن الكريم	3 ساعات يوميا
الفقه	ساعتان أسبوعيا
أحكام التجويد	ساعتان أسبوعيا
التفسير	ساعة أسبوعيا
اللغة العربية	ساعتان أسبوعيا
الرياضيات	ساعة أسبوعيا.
التاريخ	ساعة أسبوعيا.
اللغة الفرنسية	ساعة أسبوعيا
اللغة الإنجليزية	ساعة أسبوعيا

السنة الرابعة

حفظ القرآن الكريم	3 ساعات يوميا
الفقه	ساعتان أسبوعيا
اللغة العربية	ساعتان أسبوعيا
علم الحديث	ساعة أسبوعيا
تفسير	ساعة أسبوعيا
تاريخ وجغرافيا	ساعة أسبوعيا.
رياضيات	ساعة أسبوعيا.
اللغة الفرنسية	ساعتان أسبوعيا
اللغة الإنجليزية	ساعة أسبوعيا

السنة الخامسة

حفظ القرآن الكريم	3 ساعات يوميا
الفقه	ساعتان أسبوعيا
اللغة العربية	ساعتان أسبوعيا
الحديث التحليلي	ساعة أسبوعيا
أصول الفقه	ساعة أسبوعيا
تاريخ وجغرافيا	ساعة أسبوعيا.
رياضيات	ساعة أسبوعيا.
اللغة الفرنسية	ساعتان أسبوعيا
اللغة الإنجليزية	ساعة أسبوعيا

السنة السادسة

حفظ القرآن الكريم	3 ساعات يوميا
فقه المواريث	ساعتان أسبوعيا
اللغة العربية	ساعتان أسبوعيا
أصول الفقه	ساعتان أسبوعيا
تاريخ وجغرافيا	ساعة أسبوعيا.
رياضيات	ساعة أسبوعيا.
اللغة الفرنسية	ساعتان أسبوعيا
اللغة الإنجليزية	ساعة أسبوعيا

أحكام إضافية

تتم الدراسة من يوم السبت إلى الثلاثاء خلال السنوات كلها، ويخصص يوم الأربعاء للقرآن الكريم فقط حفظا ومراجعة وتكرارا ونحو ذلك.

يجب على الطالب أن يحفظ 10 أحزاب كل سنة، فإن لم يتمها أمكن له استدراكها خلال بداية السنة الدراسية الموالية، وإلا لم ينتقل إلى السنة الموالية.

الكتب المعتمدة

في انتظار إعداد مقررات تفصيلية يمكن الاعتماد على المراجع التالية:

الفقه	أسهل المسالك لمذهب الإمام مالك
العقيدة	العقائد الإسلامية للشيخ عبد الحميد بن باديس.
علوم القرآن	التبيان في علوم القرآن للصابوني، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان
علم الحديث	شرح البيقونية، تيسير مصطح الحديث لمحمود الطحان
بقية المواد	يرجع فيها إلى مقررات وزارة التربية الوطنية

الخاتمة:

إن العناية بالقرآن الكريم ببلادنا ما تزال بخير -والحمد لله- بما سبق ذكره من معالم بارزة أدت دورها ولا تزال تحافظ على هذا الدستور الرباني؛ كالزوايا والكتاتيب والمدارس القرآنية، بل أعتقد أنها زادت في السنوات الأخيرة بفضل مظاهر أخرى كإنشاء المعاهد المتخصصة على غرار معهد القراءات الذي خرّج الإطارات الدينية المتخصصة، ثم إحداث المسابقات الوطنية والدولية لحفظ القرآن الكريم، حيث صار أبناء الجزائر وبناتها ينافسون باقي الدول الإسلامية على التصدر في إتقان القرآن الكريم تلاوة وحفظا وتفسيرا، مع المشاركة في لجان التحكيم في المسابقات الدولية في العالم الإسلامي، واستحداث لجنة وطنية لمراجعة المصاحف، وتسجيل مصاحف مسموعة برواية ورش عن نافع، وصولا إلى إنشاء المقرأة الإلكترونية، ولا يمكن أن ننسى ما يؤديه الإعلام المرئي والمسموع من دور هام ومحوري في تحفيز الناشئة من خلال قناة وإذاعة القرآن الكريم، مع ما يقدم فيهما من برامج هادفة في تحفيظ وتعليم تلاوة كتاب الله تعالى، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادروالمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
2. أبو القاسم محمد الحفناوي. (1906). تعريف الخلف برجال السلف (المجلد الطبعة الاولى). الجزائر: مطبعة بيير فونتانة الشرقية.
3. رشيد ميموني. (2009). البعد الاجتماعي في القرآن الكريم. قسنطينة: مخبر علم اجتماع الاتصال.
4. عبد الحي الكتاني. (1982). فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. بيروت: دار الغرب الاسلامي.
5. محمد بن عبد الله التنسي. (1999). الطراز في شرح ضبط الخراز (المجلد الطبعة الأولى). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
6. محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري. (1932). غاية النهاية في طبقات القراء. بيروت: دار الكتب العلمية.
7. محمد مايمون. (2001). زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي؛ دورها التعليمي وتراثها الفقهي (المجلد الاولى). الجزائر.
8. محمد نسيب. (1998). زوايا العلم والقرآن بالجزائر (المجلد الطبعة الاولى). دمشق: دار الفكر.

النظريات اللاهوتية لملك المسيح الألفي في الديانة المسيحية

زيلمي ضاوية
كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر

مقدمة:

تعتبر عقيدة المجيئ الثاني للمسيح من العقائد المتميزة في المسيحية، إذ تعتبر إحدى الأركان الأساسية للإيمان المسيحي، فيؤمن المسيحيون بأن ملكوت الله يوجد الآن في العالم من خلال شعبه الذي يؤمن به، ويجعله ملكا على حياته، وسوف يعلن الله ملكه للعالم في آخر الزمان بالمجيئ الثاني للمسيح، ويعتقد المسيحيون أنهم يعيشون زمن ما بين المجيئين، فالمجيئ الأول فقد وقع منذ ألفي عام، والمجيئ الثاني الذي لا يعرف أحد موعده، وتوقعه من أهم موضوعات الإنجيل، فلا يكاد يخلو سفر من أسفاره إلا وتحدث عن المجيئ الثاني، وهذه العقيدة يؤمنون بها جميع مسيحي العالم، غير أن الاختلاف في كيفية وتفاصيل هذا المجيئ وحكمه للأرض لمدة ألف عام، وهو ما يعرف عندهم بالملك الألفي.

ولهذا يعتبر ملك المسيح من أكثر الموضوعات التي أثارت الجدل بين الطوائف المسيحيين ولا زالت تثير بين مؤيد ومعارض، فالجانب المعارض من الشراح ينكر تماما هذا الفكر ويستنكره، أما الجانب المؤيد فمنهم من يرى أن هذا الملك هو ملك روحي أما البعض الآخر فيرى أنه ملك مستقبلي حرفي على الأرض ومدته ألف عام.

ولهذا رام البحث إلى تحقيق عدة أهداف منها:

- التعريف بالملك الألفي في الديانة المسيحية وبيان أهميته كمعتقد مستقبلي غيبي عند المسيحيين، إذ يرتبط الملك الألفي بالمجيئ الثاني للمسيح في آخر الزمان.
- الرغبة في معرفة رأي الفرق المسيحية في الملك الألفي والأدلة التي أعتمدها كل فريق في إثبات موقفه من ملك المسيح، ثم الخلوص إلى الرأي الذي له تأثير في الأوساط المسيحية.

ويعالج البحث الإشكالية الآتية :ما هو المقصود بالملك الألفي؟ وماهي أهم النظريات التي تناولت هذا الموضوع؟ و كيف فسر أصحاب كل نظرية ملك المسيح الألفي؟ وماهي الأدلة التي أعتمدها كل فريق في إثبات رأيه؟

وقد اتبعت في بحثي هذا المنهج التحليلي الوصفي وذلك بالرجوع إلى مصادرهم وجمع كل ما يتعلق بالملك الألفي وتحليل الآراء المتعلقة بهذا الموضوع.

1-1مفهوم كلمة الملك الألفي: إن كلمة «الملك الألفي» غير موجودة بحصر اللفظ في أسفار الكتاب المقدس، ولكنها مأخوذة من كلمتين في اللغة اللاتينية لتحديد فترة زمنية «ألف سنة». ومع أن الكلمة غير واردة نصا، لكن الشيء ذاته موجود بالتحديد في أجزاء كثيرة من العهد الجديد، فقد تحدث سفر الرؤيا عن «ألف سنة» ورددها عدة مرات في الأعداد الأولى من الإصحاح العشرين (عزمي،2011، ص: 171).

ومما جاء فيه «4 **وَرَأَيْتُ عُرُوشًا فَجَلَسُوا عَلَيْهَا، وَأُعْطُوا حُكْمًا. وَرَأَيْتُ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ وَمِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لِلْوَحْشِ وَلاَ لِصُورَتِهِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا السِّمَةَ عَلَى جِبَاهِهِمْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ، فَعَاشُوا وَمَلَكُوا مَعَ الْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ. 5 وَأَمَّا بَقِيَّةُ الأَمْوَاتِ فَلَمْ تَعِشْ حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ. هذِهِ هِيَ الْقِيَامَةُ الأُولَى. 6 مُبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ**

فِي الْقِيَامَةِ الأُولَى. هؤُلاَءِ لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ سَيَكُونُونَ كَهَنَةً لِلهِ وَالْمَسِيحِ، وَسَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ.»(الرؤيا / 20: 4 - 6).

1 - 2 معاني الملك الألفي في العهد الجديد

إن ملك المسيح الألفي له عدة مسميات في العهد الجديد منها :

- أوقات الفرج:«فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ، لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ » (أعمال الرسل/ 3: 19).

- أزمنة رد كل شيء :« 21الَّذِي يَنْبَغِي أَنَّ السَّمَاءَ تَقْبَلُهُ، إِلَى أَزْمِنَةِ رَدِّ كُلِّ شَيْءٍ»(أعمال الرسل/ 3: 21).

- العالم العتيد :« فَإِنَّهُ لِلَمَلاَئِكَةٍ لَمْ يُخْضِعِ الْعَالَمَ الْعَتِيدَ الَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ» (عبرانيين/ 2:5).

- العالم الآتي :« وَمَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ، وَأَمَّا مَنْقَالَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُ، لاَ فِي هذَا الْعَالَمِ وَلاَ فِي الآتِي»(متى / 12: 32).

- ملئ الأزمنة :« لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، فِي ذَاكَ» (أفسس/ 1:10).

- الدهر الآتي: «وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ وَقُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي» (عبرانيين/6:5).

- ملكوت ابن الإنسان :« اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ» (متى/ 16: 28)

2 - نظرية الملك الحرفي :

2 - 1 موقف أنصار الملك الحرفي:

يطلق على أصحاب هذا الرأي تعبير «سابقوا الألف سنة»، بحيث يعتقد هؤلاء بأن مجيئ المسيح ثانية يسبق الملك الألفي (لمعي، 1991، ص: 190، و نصر الله، 1991، ص: 73) بمعنى أن ملك المسيح هو ملك مستقبلي حرفي على الأرض يستمر لمدة ألف سنة (صبري، د.ت، ص: 107).

وقد ظهرت هذه المدرسة مع بداية بزوغ الكنيسة واستمرت خلال الثلاثة القرون الأولى(لمعي، 1991، ص: 190)، ومع نهاية القرن الرابع اختفت هذه العقيدة، ولكنها بدأت بالظهور بقوة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر واكتسبت العديد من الأتباع خاصة في الأوساط الشعبية (نصر الله، 1991، ص: 75).

2-2 - أدلتهم على الملك الحرفي : لقد وجد أصحاب نظرية الملك الألفي ما يؤيد فكرهم في العهد القديم العديد من النبوات وفي عدة فصول واردة في العهد الجديد التي تنبئ بملك المسيح الألفي على الأرض .

ومن نبوات العهد القديم:

- جاء في المزمور الثاني أن الله قد مسح الابن ملكا على صهيون (صبري،د.ت، ص: 108) إذ يقول:«**أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي**» (مزمور/2:6).

- وجاء في مزمور السبعين أن المسيح ملكا متوجا ينتقم من فعلة الإثم ويملك بالحق والبر (صبري، د.ت، ص: 108)«**كُرْسِيُّكَ يَا اَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. 7أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ**» (مزمور/ 70: 45 - 7).

- يقول إشعياء النبي« **لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ. 7لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ.**» (إشعياء/ 9: 6 - 7).

• إن لله مواعيد روحية وأخرى أرضية وعد بها الآباء من جهة أبنائهم (مخائيل، 2004، ص: 709). جاء في سفر التكوين **«اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. 2فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. 3وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ»** (تكوين / 3-1).

من العهد الجديد:

• لما بشر الملاك جبرائيل مريم بذلك المولود فهو إعلانا واضحا عن ملكه إذ يقول لها الملاك: **«لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. 31وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. 32هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، 33وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ»** (لوقا/ 1: 31 - 33).

• والمعروف أن عرش داود لم يكن في السماء، ولم يكن ملكه ملكا روحيا، ولكن عرشه كان على الأرض، وكان ملكا حرفيا مسجلا بكافة أحداثه في الكتاب المقدس وكذلك في كتب التاريخ(صبري، د.ت، ص: 113) .

• يجب أن يملك المسيح حتى يتمكن من إجراء الدينونة (صبري، د.ت، ص: 114) حيث جاء في سفر يوحنا **«لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ»** (يوحنا /5: 22).

2 - 3 - العلامات التي تسبق المسيح:

يعتقد أصحاب التفسير الحرفي أنه هناك بعض الحوادث تسبق المجيء الثاني للمسيح وهي كالتالي :

- **الاختطاف:** يعتقد أن المسيح سينزل من السماء سرا قبل مجيئه الثاني

ليختطف جميع القديسين في الهواء بحسب وعد الرب لهم، فقد حضي تلاميذه الذين شهدوا ليلة الوداع بوعد صريح منه بعد مضيه إلى السماء سيأتي ثانية ليأخذهم إليه (حنا، د .ت، ص: 9 . أنيستي، 2012، ص: 23).

- **الضيقة العظيمة :** بعد اختطاف جميع المؤمنين إلى السماء، سينصب غضب الله على العالم، بحيث سيأتي امتحان على العالم كله بحيث سيشهد الساكنين على الأرض ضيقا عظيما لم يكن مثله من قبل ولن يكون (حنا،2006، ص: 47، وأنيستي، 2012، ص: 47)، وقد ذهب بعض مؤيدي هذه النظرية بأن فترة الضيقة العظيمة وهي سبع سنوات ونصف يقسمها بعضهم إلى قسمين متساويين مبتدأ الأوجاع ومدته ثلاث سنوات ونصف، والضيقة العظيمة ومدتها أيضا ثلاث سنوات ونصف وتسمى أيضا «ضيق الأزمنة». (أنيستي، 2012، ص: 40 - 49).

- **مبتدأ الأوجاع:** وهي الأحداث التي ستقع النصف الأول من أسبوع الضيق وتتمثل في انتشار الحروب والأوبئة والمجاعات، ويكون فيها قتل واضطهادات للمؤمنين، وانقطاع الأواصر الاجتماعية وحدوث تغيرات واضطرابات في الكون، وانتشار الإنجيل في كل العالم ...(حنا، 2012، ص: 40 - 41 - 42، ولمعي،1991،ص: 190).

- **الضيقة العظيمة:** وستشهد هذه الفترة حوادث مرعبة تبدأ بسقوط الشيطان من السماء وتحالفه مع الوحش «تطلق كلمة الوحش الوارد في سفر الرؤيا على الإمبراطورية الرومانية العائدة إلى الحياة كما تطلق على رئيسها الروماني والمسمى «بالقرن الصغير» و«الرئيس الآتي» (مخائيل، 2004،ص: 683. و أنيستي، 2012، ص: 45. و حنا، 2010، ص: 208)، وضد المسيح « ضد المسيح وهو المسيح الدجال ويسمونه أيضا المسيح الكذاب أي المقلد للمسيح

والنبي الكذاب وإنسان الخطيئة، ويكون ظهوره قبل المجيئ الثاني المسيح ويدل أنه على الأبواب، ويرتبط مجيئه»(بيطار، 2002، ص: 5 - 6. وحنا، 2010 ص: 88) لإظلال البشرية (عزمي، 2011، ص: 91).

- **ظهور المسيح علانية:** وفي ختام سبع سنوات يأتي المسيح بصورة علنية وبمجد بحيث يدخل مع جميع أعدائه في معارك السخط (فكري، 2004، ص: 33.) أو ما تعرف بموقعة هرمجدون أو آرمجدون «اسم عبري معناه جبل مجيدو، ومنهم من ذهب إلى أن هرمجدون كلمة مكونة من كلمتين: «هار» بمعنى «تل»، ومجيدو اسم مدينة في فلسطين وتقع بالقرب منها عدة جبال ذات أهمية استراتيجية» (حبيب، د.ت، ج8، ص: 146)، وهناك سيسحق المسيح جميع أعدائه ويدمرهم.

- **عودة اليهود من الشتات:** وفي ذلك الوقت يكون قد تم جمع اليهود الذين آمنوا بالمسيح في الضيقة العظيمة للعودة بهم إلى أورشليم، وبمجرد دخول المسيح إلى أورشليم كملك، يقيد إبليس لمدة ألف عام، ليملك المسيح ملكا حرفيا على الأرض (لمعي، 1991، ص: 197).

2 - 4 - أوصاف الملك الألفي: يعتقد أصحاب هذا الرأي بأن فترة ملك المسيح على الأرض تتميز بمجموعة من السمات والصفات منها ما هو روحي، ومنها ما هو مادي نوجز بعضها في الآتي:

- **بعض السمات الروحية:**

- امتلاء الأرض بمعرفة الرب: ستقام عبادة الرب في كل الأرض، وسيقضى تماما على الوثنية وكل ديانة باطلة ستتلاشى (أنيستي، 2012 ص: 109 - 110.)« لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ. 10وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ، وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا » (إشعياء/ 11: 9 - 10).

- **بناء هيكل الرب:** سيبنى هيكل جديد أو مقدس يقام على أرض إسرائيل وسيكون بيت الصلاة لجميع الشعوب

(مخائيل، 2004، ص : 712) « هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلاً: هُوَذَا الرَّجُلُ «الْغُصْنُ» اسْمُهُ. وَمِنْ مَكَانِهِ يَنْبُتُ وَيَبْنِي هَيْكَلَ الرَّبِّ. 13فَهُوَ يَبْنِي هَيْكَلَ الرَّبِّ، وَهُوَ يَحْمِلُ الْجَلاَلَ وَيَجْلِسُ وَيَتَسَلَّطُ عَلَى كُرْسِيِّهِ» (زكريا /6: 12 - 13) .

- **كتابة شريعة الرب على قلوب الشعب الإسرائيلي:** (مخائيل، 2004، ص: 712) « 33بَلْ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. 34وَلاَ يُعَلِّمُونَ بَعْدُ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، قَائِلِينَ: اعْرِفُوا الرَّبَّ، لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ» (إرميا/ 31: 33 - 34).

• بعض الصفات المادية:

- **رفع اللعنة على الأرض :** إن اللعنة التي انصبت على الأرض بعد سقوط الإنسان (عزمي، 2011، ص: 176) في قول الله لآدم «مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. 18وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. 19بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ » (التكوين/ 3: 17 - 19) فهذه اللعنة سترفع، وستتحرر الخليقة نفسها من عبوديتها ولعنتها، وستحدث تغيرات عجيبة في وجه الأرض وسيظهر ثانية جمال الطبيعة أيام جنة عدن. (أنيستي، 2012 ،ص: 113)

-**التغير في عمر الإنسان:** سيتغير عمر الإنسان في فترة الملك الألفي بحيث سيطول إلى ألف عام كما كان في البداية، ولا يخرج الإنسان من سن الطفولة ويدخل سن الرجولة تحت المسؤولية إلا بعد أن يبلغ المئة من العمر (عزمي، 2011، ص: 169 - 180) «لاَ يَكُونُ بَعْدُ هُنَاكَ طِفْلُ أَيَّامٍ، وَلاَ شَيْخٌ لَمْ يُكْمِلْ أَيَّامَهُ. لأَنَّ الصَّبِيَّ يَمُوتُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ،

وَالْخَاطِئُ يُلْعَنُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ» (إشعياء 65: 20).

- التغير في صفة الوحوش: إن العداوة التي هي طبيعة الوحوش ستختفي في فترة الملك الألفي (عزمي،2011، ص: 181) فإن الله سيغير غرائز التوحش والقتل في الحيوانات الشرسة فتصير كلها أليفة، فيسكن الذئب مع الخروف، ويرعى الأسد مع العجل دون أن يفترس أحدهما الآخر، ويلعب الأطفال مع الثعابين ولا يؤذوا منها (أنيستي، 2012، ص: 114) « 6فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ، وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. 7وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعًا، وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْنًا. 8وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ، وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوَانِ» (إشعياء : 11: 6 - 8).

- انتشار السلم واختفاء الحروب : سيكون الملك الألفي هو ملك البر والسلام فلا تكون تعديات بين الأفراد والأمم وتختفي حروب بينهم (عزمي،2011، ص: 181 - 182)، جاء في إشعياء « 4فَيَقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ وَيُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ » (إشعياء/ 2: 4) .

- زوال الأمراض من الأرض: فلن تكون هناك أمراض أو أوجاع، ولا تبدو الحاجة إلى الأطباء (مخائيل، 2004، ص: 713)«وَلاَ يَقُولُ سَاكِنٌ : أَنَا مَرِضْتُ» (إشعياء /33:24)، وسيشفى الأصم والأعمى والأبكم ...إلخ « 5حِينَئِذٍ تَتَفَقَّحُ عُيُونُ الْعُمْيِ، وَآذَانُ الصُّمِّ تَتَفَتَّحُ. 6حِينَئِذٍ يَقْفِزُ الأَعْرَجُ كَالإِيَّلِ وَيَتَرَنَّمُ لِسَانُ الأَخْرَسِ، لأَنَّهُ قَدِ انْفَجَرَتْ فِي الْبَرِّيَّةِ مِيَاهٌ، وَأَنْهَارٌ فِي الْقَفْرِ»، (إشعياء 35: 5 - 6).

وخلاصة نظرية التفسير الحرفي هي كالآتي :

- ملك المسيح هو ملك مستقبلي حرفي على الأرض يستمر لمدة ألف سنة.

- سيسبق المجيء الثاني للمسيح علامات وأحداث منها الاختطاف والضيقة العظيمة.

- مجيء المسيح ثانية سيكون بمجد وقوة وسيدين جميع اعدائه، وسيقد الشيطان لألف سنة.

- فترة ملك المسيح على الأرض تتميز بمجموعة من السمات والصفات منها ما هو روحي ومنها ما هو مادي.

3 - نظرية الملك الروحي.

3 - 1موقف القائلين بالملك الروحي:

يطلق على أصحاب هذا الرأي تعبير «لاحقوا الألف سنة» حيث يعتقدون بأن المجيئ الثاني للمسيح يكون لاحقا للملك الألفي، وأن الملك الألفي ليس حرفيا، وليس لمدة ألف عام بالضبط، فتعبير الألف سنة يرمز لفترة معينة تنتشر فيها رسالة الإنجيل بين الأمم، ويعود فيها الأمم من مشارق الأرض ومغاربها إلى الله (نصر الله، 1991، ص: 78).

فالآخذون بهذا الرأي يؤكدون بأن الألف سنة هي المرحلة التي يملك فيها المسيح ملكا روحيا لا حرفيا بانتشار الإنجيل وسيادته على قلوب الناس أو بتعبير آخر إن الألف سنة هي: العصر الذهبي المجيد الذي يأتي فيه المسيح بقوة الروح القدس (مقار، 2016، ص: 369 - 370) .

أما بالنسبة لضرورة تقييد إبليس في هذه الحقبة، فقد قيد فعلا بعمل المسيح وليس له أي سلطان على الناس وغير قادر على إيذائهم، وفي نهاية هذه الفترة سوف تقوم صحوة دينية حيث يعود اليهود إلى المسيح بطريقة طبيعية وبدون عنف (لمعي، 1991، ص : 202).

ولا يؤمن أصحاب هذا الرأي بضرورة عودة اليهود إلى فلسطين ويفسرون كل النبوات المرتبطة بالأمر تفسيرا روحيا (مقار،2016، ص:370.) « 25فَإِنِّي لَسْتُ

أُرِيدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا هذَا السِّرَّ، لِئَلاَّ تَكُونُوا عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ حُكَمَاءَ: أَنَّ الْقَسَاوَةَ قَدْ صَلَتْ جُزْئِيًّا لإِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ ملء الأُمَمِ، 26وَهكَذَا سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «سَيَخْرُجُ مِنْ صِهْيَوْنَ الْمُنْقِذُ وَيَرُدُّ الْفُجُورَ عَنْ يَعْقُوبَ» (رسالة رومية / 11: 26-25).

وفي نهاية الألف سنة يظهر إبليس بقوة على شكل إنسان الخطية، فيحدث ارتداد عظيم قبل أن يأتي المسيح (لمعي،1991، ص: 203) «لاَ يَخْدَعَنَّكُمْ أَحَدٌ عَلَى طَرِيقَةٍ مَا، لأَنَّهُ لاَ يَأْتِي إِنْ لَمْ يَأْتِ الارْتِدَادُ أَوَّلاً، وَيُسْتَعْلَنْ إِنْسَانُ الْخَطِيَّةِ، ابْنُ الْهَلاَكِ، 4الْمُقَاوِمُ وَالْمُرْتَفِعُ عَلَى كُلِّ مَا يُدْعَى إِلهًا أَوْ مَعْبُودًا، حَتَّى إِنَّهُ يَجْلِسُ فِي هَيْكَلِ اللهِ كَإِلهٍ، مُظْهِرًا نَفْسَهُ أَنَّهُ إِلهٌ» (2 تسالونيكي/ 2: 4-3).

وسيكون هذا آخر حدث لهذا العصر ثم يأتي المسيح للدينونة والحياة الأبدية حيث السماء الجديدة والأرض الجديدة (لمعي ،1991، ص: 203).

3 - 2 -أدلتهم على الملك الروحي:

يعتمد المؤمنون بهذه النظرية التفسيرية لملك المسيح على رؤية نبوءات الكتاب المقدس، وخاصة تلك التي تتناول مجيء المسيح ثانية برؤية روحية، وتعتمد على التفسير الروحي بعيدا عن التأثر بالفلسفات العالمية (نصر الله ،1991، ص: 87) ولهذا فهم يستدلون على ما يلي :

- ملك المسيح روحي وليس أرضي:

لأن المسيح رفض الملك الأرضي بمعناه الحرفي، وعلم أن مملكته ليس من هذا العالم (تادرس، د.ت، ص: 135) قائلا : «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا» (يوحنا / 18: 36).

« فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ!»15وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ

لِيَجْعَلُوهُ مَلِكًا، انْصَرَفَ أَيْضًا إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ» يوحنا (6: 14 - 15) .

فقد أراد المسيح ملكا روحيا على القلوب لأن ملكوت الله ليس أكل ولا شرب (نصر الله، 1991، ص: 79) « لأَنْ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ » (رومية / 14: 15).

- ملكوت السموات سوف لا يكون على الأرض بل في السماء : حيث جاء في سفر الرؤيا(تادرس، د.ت، ص: 135) « ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لأَنَّ السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لاَ يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ » (الرؤيا / 21:1).

- إن يوما واحدا عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد ولهذا فإن الألف سنة هي مدة رمزية (صبري ،د.ت، ص: 103) « وَلكِنْ لاَ يَخْفَ عَلَيْكُمْ هذَا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ: أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ»(2 بطرس/ 3: 8).

- إن هذه الألف سنة ليست سنة حرفية، ولكنها عبارة عن مدة الكمال المحددة في خطة الله، لأن الرقم 10 في الكتاب المقدس هو كمال الأعداد وعليه مدة الألف هي المدة من صلبه حتى المجيئ الثاني (تادرس، د.ت، ص: 136) .

- المسيح سوف يأتي للدينونة وليس للملك على الأرض : لم يتكلم المسيح ولو مرة واحدة أنه سيملك الأرض بعد مجيئه بل أكد مرارا أن مجيئه للدينونة ولزوال الأرض (تادرس، د.ت، ص: 143)، « فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ » (متى /16: 27) .

وخلاصة فكر أصحاب التفسير الروحي هي كالآتي :

- ملك المسيح هو ملك روحي.

- مجيء المسيح ثانية يكون بعد الملك الألفي.

- فالألف سنة مدة رمزية تشير إلى ملك المسيح ملكا روحيا وسيادته على قلوب أتباعه.

- سيكون الشيطان مقيدا خلال فترة الملك الألفي، وفي نهاية الألف سيحل ويحدث ارتداد عظيم.

- مجيء المسيح ثانية سيكون مرة واحدة ولا توجد أحداث سوف تتحقق قبل مجيئه.

- ستكون دينونة واحدة للمسيح وهي دينونة العرش العظيم ثم الدخول في الحالة الأبدية.

4 - الرافضون للملك الألفي :

4 - 1موقف المنكرون للملك الألفي:

يتفق أصحاب هذه النظرية مع معتنقي التفسير الروحي بأن المجيئ الثاني للمسيح هو إعلان عن نهاية العالم والدينونة (لمعي، 1991، ص: 206) ، ويتلخص رأي الرافضون للملك الألفي في أنه لا يجب أن تفسر النبوة بشكل حرفي، ويعتقدون بأن فكرة الألف سنة ماهي إلا بدعة اخترعها عقل الإنسان(بسترس، 1989، ص: 331) ، وهي عقيدة زائفة ظهرت وشاعت ووجدت لها صدى في الأوساط المسيحية (نصر الله ،1991 ،ص: 87) وهم يرفضون أي محاولة لتحديد المجيء الثاني للمسيح، لأن المسيح ذاته لا يعلم وقت مجيئه ولا حتى الملائكة في السماء إلا الله لذلك لا توجد أي علامة تشير إلى المجيئ، والعلامة الوحيدة لمجيئه هي ذاته.

وأصحاب هذه النظرية لا ينكرون بأن هناك أحداث سوف تتحقق قبل المجيئ الثاني مثل عودة بعض اليهود إلى المسيح، وظهور إنسان الخطيئة، ولكنهم يقولون إن هذه الأشياء يمكن أن تكون حادثة بالتدرج، وعندما تظهر بوضوح سيكون الوقت قد تأخر جدا فالمجيء الثاني سيكون دون علامة مؤكدة (لمعي، 1991، ص: 209).

4 - 2 أسباب رفضهم للملك الألفي:

وعن الأسباب التي يعتقدون لأجلها أن فكرة الألف سنة فكرة زائفة وهي:

- لن يكون هناك زمان للألف سنة لأن الزمن سينتهي بمجرد مجيء المسيح ثانية (نصر الله،1991،ص:55) « وَأَقْسَمَ بِالْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ، الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَمَا فِيهَا وَالأَرْضَ وَمَا فِيهَا وَالْبَحْرَ وَمَا فِيهِ: أَنْ لاَ يَكُونَ زَمَانٌ بَعْد».
- إن الرب ينفي تماما بأن له مملكة على الأرض في هذا القول (صبري، د.ت، ص: 100) « أَجَابَ يَسُوعُ: مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا» (يوحنا 18/: 36).
- لن يكون هناك مكان للألف سنة، لأن الأرض ستتلاشى وتحترق وتذوب عندما يأتي المسيح ثانية (نصر الله ،1991، ص: 50) « وَلكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ، يَوْمُ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا» (2 بطرس 3:10/).

خاتمة :

يعتبر موضوع الملك الألفي موضوعا إستخاتولوجيا أخرويا بحتا ولذا تعود الاختلافات اللاهوتية من هذا الجانب، وقد فسرت كل طائفة من الطوائف المسيحية الأمور المتعلقة بالمستقبل والمجيء الثاني للمسيح بطريقتها الخاصة ووصلت كل منها إلى طريق يختلف عن الآخر، وجميع النظريات جاءت نتيجة لما كتب في سفر الرؤيا آخر أسفار الكتاب المقدس عن ملك المسيح لمدة ألف عام،

والاختلافات في هذا الموضوع لا يمس حقيقة مجيء المسيح ثانية، وإنما تتعلق بالتفاصيل المصاحبة لهذا الحدث.

يعتقد أصحاب نظرية الملك الحرفي أن المسيح سيملك مع الأبرار ملكا حرفيا على الأرض لمدة ألف عام وفيه ستنعم الأرض بالأمن والسلام ويقيد إبليس لألف سنة. وستسبق مجيء المسيح الثاني حوادث منها الاختطاف والضيقة العظيمة وعودة اليهود إلى أورشليم بعد الشتات وإيمانهم بالمسيح .

بينما الآخذون بالفكر الروحي فيعتقدون أن ملك المسيح هو ملك روحي وليس حرفي وأن الألف سنة الألف سنة هي المرحلة التي يملك فيها المسيح ملكا روحيا لا حرفيا بانتشار الإنجيل وسيادته على قلوب الناس.

يعتقد الرافضون الملك الألفي بأن الألف سنة ماهي إلا بدعة اخترعها عقل الإنسان ويرفضون أي محاولة لتحديد مجيء المسيح ثانية والعلامة الوحيدة لمجيئه هي ذاته، وينكرون وجود حوادث تسبق مجيئه الثاني .

هذا مجمل ما يخص النظرة المسيحية للملك الألفي كما جاءت في مصادرها وإلا فالعقيدة الإسلامية لها نظرة مغايرة في المسألة : ((حيث أكد القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال الأحاديث الصحيحة، أن عيسي عليه السلام عبد الله ورسوله رفعه الله إليه ونزوله في آخري الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويحكم بالعدل والسلام فيقضي في زمانه على كل الملل إلا شريعة الإسلام.

غير أنه يوجد اتفاق بين المسحية والإسلام على وجود فترة في زمن حكم المسيح على الأرض يسودها الأمن والآمان وطيب العيش ونزول البركات على الأرض، والاختلاف بين الديانتين في مدة حُكم المسيح على الأرض، فذكر في الأحاديث الصحيحة أنه سيبقى سبعا أو أربعين سنة ثم يتوفاه الله.

بينما النظريات اللاهوتية المسيحية فحددت مدة حكمه بألف سنة باعتباره الرب وهذا يقودنا إلى طرح هذه التساؤلات:

- هل حكم المسيح على الأرض سيكون من الجانب اللاهوتي أو جانب الناموسي؟

- وإذا كان الجانب الناموسي هو الذي سيحكم فأين يذهب الجانب اللاهوتي؟))

المصادر والمراجع :

1. http://St-Takla.orgالكتاب المقدس الإلكتروني
2. أنيستي بروس، ت : 2012، الأحداث النبوية مرتبة ترتيبا تاريخيا من الاختطاف إلى الحالة الأبدية، مصر، بيت عينا.
3. بسترس سليم، ت: 1989، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، لبنان، منشورات المكتبة البوليسية.
4. بيطار توما ،ت: 2002، المسيح الدجال واقع أم خيال، مصر.
5. حبيب صموئيل، (د.ت)، دائرة المعارف الكتابية، مصر، دار الثقافة.
6. حبيب تادرس،مذكرات اللاهوت العقدي (د. ت. د ن .ب ن).
7. حنا ناشد (د .ت)، قريب على الأبواب، مصر، مكتبة الإخوة.
8. حنا ناشد، ت: 2006، الاختطاف- الضيقة العظيمة - الظهور، مصر، دار الإخوة للنشر.
9. حنا ناشد،ت: 2010، شرح سفر الرؤيا، مصر، مكتبة الإخوة.
10. عزمي عادل، ت: 2011، ما لابد أن يصير بعد هذا، مصر، مكتبة الإخوة.
11. فكري رشاد، ت: 2004 ، يوم المسيح يوم الرب يوم الله، مصر، مكتبة الإخوة.
12. - صبري ابراهيم، (د.ت)، خطوة خطوة نحو نهاية العالم، مصر، (د. د ن).
13. نصرالله زكريا، ت: 1991، ورؤيا معاصرة حول مجيئ المسيح الثاني، (د.ب.د ن).
14. مخائيل برسوم ،ت: 2004، موسوعة الحقائق الكتابية، مصر، مكتبة الإخوة.
15. مقار إلياس، ت: 2016، إيماني، مصر، دار الثقافة.

سد الذرائع الأصولي وخصوصيته عند المالكية

د. فتيحة دوار
جامعة الجزائر - 1 - بن يوسف بن خدة
كلية العلوم الإسلامية

مقدمة:

يعتبر أصل سد الذرائع من أهم أصول المذهب المالكي فبواسطتها تمكّن مجتهدي المالكية من درء الفساد و الحدّ من استفحاله، وهي تمثل سورا منيعا يمنع التلاعب واستغلال الأمور الجائزة فيما ينافي مقاصد الدين وروحه، لها ضوابطها وحدودها ومقاصدها الرامية في الحفاظ على الحدود والطاعات عامة وفي الأصول والفقه خاصّة، كما أن علاقة سد الذرائع والمقاصد علاقة محورية جوهرية، فهذا الأصل يتناسق وتتناسب مع مقاصد الدين و أهدافه، فهي خادمة لتلك المقاصد من أن يلحقها خدش، وهي أصل للاستنباط أساسه النظر إلى مآلات الأفعال، وتُعد توثيقا للمبدأ العام للدين في جلب المصالح ودرء المفاسد، فهي ذات بعد مقاصدي.

ومن هنا يمكننا أن نتسائل :

ما هو المقصود بأصل سد الذرائع الاصولي عامّة وفي المذهب المالكي خاصّة؟

ومن أجل الاجابة على إشكالية الدراسة سرنا وفق المنهج الاستقرائي التحليلي لمناسبتهما لموضوع البحث، وقمت بتقسيم البحث وفق الخطة الآتية:

1 - السدُّ في اللغة والاصطلاح

1-1 - السَدُّ في اللغة

1 - 2 -السَدُّ في الاصطلاح

1-2-1 - السَّدُ بمعنى القطع

-1 2 - 2 - السَّدُ بمعنى المنع

-1 2 - 3 - السَّدُ بمعنى الحسم

2 - الذرائع لغة واصطلاحا

2 - 1 - الذرائع في اللغة

2-2 - الذرائع في الاصطلاح

2 - 2 - 1 - الذرائع عموما (الإطلاق العام)

2 -2-2- الذرائع بالمعنى اللّقبي

3 - سد الذرائع عند المالكية: المفهوم والأقسام

3 - 1 - مفهوم سد الذرائع عند المالكية

3 - 2 - أقسام الذرائع عند المالكية

الخاتمة.

1 - السدُّ في اللغة والاصطلاح

1 - 1 - السَدُّ في الغة:

السَّدُّ لغةً: إغلاق الخَلَلِ ورَدْمُ الثَّلْمِ، و يقال سَدَّه يَسُدُّه سَدّاً فَانْسَدَّ وَ اسْتَدَّ وَسَدَّدَهُ أي أَصلحه وأَوثقه، والتي تعني الردم والحجز و الإغلاق و المنع و «السين والدال أصل واحد، وهو يدل على ردم الشيء وملاءمته، ومن ذلك سَدَدْتُ الثُّلمة سَدا، وكل حاجز بين الشيئين سَدٌّ»(الزمخشري، 1419هـ /1998م، صفحة 1/445).

والاسم السُّدُّ وهو كل حاجز بين شيئين كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾الكهف-93-، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ يس- 9، وسدَّدَهُ تسديدًا قوّمَهُ (فارس، معجم مقاييس اللغة، 1399هـ/1979م)، وقيل: السَّدّ بالفتح:

ما كان مِن عمل الناس، والسُّدّ بالضم: ما ليس مِن عملِهم و هو المسْدُودُ خِلقة، وعلى ذلك وُجهت قراءة من قرأ: «بين السُّدين» و«السَّدين» (ابن منظور، صفحة 3 /207).

ويطلق الانسِدادُ على مسام الجلد وأفواه العروق إذا انضمّت، أما السُّدَّةُ فتطلق على ما يمنع نفوذ شيء إلى آخر (أبو البقاء، الكليّات صفحة515)، وقلت قولا سَدَادًا و سَدَدًا أي قلت صوابا، و من ذلك السَّديدُ ذو السَّدادِ أي الاستقامة كأنه لا ثلمة فيه و لذلك يقال في الدعاء: اللهم سدّدني أي وفقني.

نستطيع القول أن كلام أهل اللغة يتفق في معناه على تفسير السَّد بالمنع والحجزوالغلق من الشيء، وهذا التفسير غير بعيد عن المعنى الاصطلاحي الذي يؤديه هذا اللفظ في إطارتركيبه مع لفظ (الذرائع) وهولفظ محوري في بحثنا.

1 - 2 -السَدُّ في الاصطلاح:

السَّدُ لا يُعرف المقصود به إلا بحسب ما يُضاف إليه ولا يخرج مفهومه هنا عن المعنى اللغوي المشار إليه سابقا، وبالتقصي في كتب الفقه وأصوله وجدنا أن لفظ السَّد له المعاني الآتية:

1 - 2 - 1 - السَّدُ بمعنى القطع: يقال قطع الذرائع بمعنى سدها، مثال ذلك ما جاء في شرح الموطأ« هذا كله يقتضي أنه لا ربا في الزيادة إلا أن تشترط الرأي والعادة من قطع الذرائع» (الزرقاني، شرح موطأ الإمام مالك، صفحة 3 /148).

وكذلك ابن حزم يوظّف لفظ القطع بدل السّد، قال «الباب الرابع والثلاثون في الاحتياط وقطع الذرائع « (ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام،1 /13) .

و مثله ما ذكره النووي في شرحه على صحيح مسلم فمثلا أثناء حديثه عن الهدي إذا عطب قال « والسبب في نهيهم قطع الذريعة لئلا يتوصل بعض الناس إلى نحره أو تعييبه قبل أوانه» (النووي : شرح صحيح مسلم 9/ 76).

1 -2-2- السَّدُ بمعنى المنع : قال أحد علماء المالكية «فالمشهور المنع على الإطلاق» (الدردير، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك 3 /49) و قال ابن النجار الحنبلي « ومعنى سدِّها: المنع من فعلها لتحريمه» (ابن النجار: شرح الكوكب المنير 4 /434)، وحتى أن أبو الوليد الباجي المالكي لا يوظّف إلا لفظ المنع حين يكون الكلام عن سد الذرائع، قال في كتابه الإشارة «مذهب مالك رحمه الله المنع من الذرائع» (الباجي: إحكام الفصول في أحكام الأصول ص 695 .)، وقال أيضا في كتابه إحكام الفصول: «فصل في المنع من الذرائع» (الباجي، إحكام الفصول في أحكام الأصول صفحة 695).

و هذا صنيع ابن أبي زيد القيرواني كذلك قال «منع الذرائع التي تجر إلى ما يشبه المنهيعنه» (محمد بن أبي زيد القيرواني: الذب عن مذهب مالك ص435)، و كذلك المازري قال «منع ما يجوز لئلا يتطرق به إلى ما لا يجوز» والطرطوشي أيضا قال « منع جائز ..» (الطرطوشي، الحوادث و البدع صفحة 26).

ونجد هذا اللفظ موظفا حتى من قبل بعض الشافعية الذين لا يعتدون بسد الذرائع ضمن أصولهم الفقهية، قال الإمام الزركشي في البحر المحيط: « قال أبو حنيفة و الشافعي لا يجوز المنع من سد الذرائع» (الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه 6 / 82)، و قال أيضا «قيل و فيه منع الذرائع» (الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه 6 / 86).

و تجدر الإشارة إلى أن لفظ المنع هو الأكثر تداولا عند المتقدمين، ونجده مع ألفاظ مثل الجائز و المشروع و الوسائل فيُقال «منع الجائز» و «منع المشروع» و«منع الوسائل».

1 - 2 - 3 -السَّدُ بمعنى الحسم: قال الإمام القرافي « الذريعة الوسيلة للشيء،

و معنى ذلك حسم مادة وسائل الفساد دفعا له» (القرافي، شرح تنقيح الفصول صفحة 449)، و كذلك المازري رحمه الله قال «فرأى عثمان حسم المادة «(ابن أبي زيد القيرواني: الذب عن مذهب مالك ص 434)، وذكر محمد الأنصاري الرصاع قول ابن الحاجب شارحا لمعنى سد الذرائع « ظاهر جائز ليتوصلا به إلى باطن ممنوع حسما للذريعة» (الرصاع، شرح حدود ابن عرفة صفحة 362).

في حين أن ابن جزي يوظف الألفاظ الثلاثة الذريعة والحسم والقطع معا قال «وأما سد الذرائع فمعناه حسم مادة وسائل الفساد بقطع وسائله « (ابن جزي، تقريب الوصول إلى علم الأصول، صفحة 149).

نخلص إلى أن لفظ السد لفظ واضح في ذاته يقصد بها القطع والمنع والحسم.

2 - الذرائع لغة واصطلاحا

2 - 1 - الذرائع في اللغة:

الذَّرائعُ جمع ذرِّيعة، و الذَّريعَةُ تصغير الذِّراع ولحقت الهاء بها لكونها مؤنثة (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث صفحة 326)، و هي مشتقة من فعل ذَرَعَ وجمعها ذَرائع وذُرُع (الزبيدي، تاج العروس من جواهر 21 /11)، وهو الامتداد والتحرك إلى الأمام لأن « الذال والراء والعين أصل واحد يدل على امتداد وتحرك إلى قدم، ثم جميع الفروع ترجع إلى هذا الأصل «(ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 2 /350)، فكل استعمالات فعل ذَرَعَ في اللغة ترجع إلى هذا الأصل وتدور حوله.

والذَّريعَةُ في اللغة تأتي بعدة معان، نذكر أهم المعاني التي لها صلة بموضوعنا:

تأتي الذَّريعَةُ بمعنى الوسيلة: فيقال تذَرَّعَ فلان بذريعةٍ أي توسَّل بوسيلة (الفيروز آبادي القاموس المحيط صفحة 717)، فالذريعة « تشترك مع الوسيلة في الدلالة على أمر يُتوصّل به إلى أمر آخر، فهما بمثابة الآلة إلى المقصود، ولكن الوسيلة أدلُّ على معنى الرغبة في

المتوسل إليه» (خدوم مصطفى، قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية صفحة 365).

و من العلماء من ذكر المعنى اللغوي أثناء تطرقه لموضوع سد الذرائع، كابن القيم في قوله «الذريعة ما كانت وسيلة وطريقا إلى الشيء» (ابن القيم، إعلام الموقعين 4 /553)، وقول القرافي « اعلم أن الذريعة الوسيلة لِلشيء»(القرافي، الفروق 3 /266)، وقال « فإن الذريعة هي الوسيلة»(القرافي، شرح تنقيح الفصول صفحة 449.)، وقول ابن تيمية الذريعة «ما كان وسيلةً وطريقاً إلى الشيء»(ابن تيمية ، بيان الدليل على بطلان التحليل صفحة 254).

و رغم هذا الاشتراك اللغوي بين الذريعة والوسيلة إلا أن بينهما فروقا بيّنها أهل اللغة (أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية صفحة 301)، فالوسيلة أصلها من قولنا سألت أسأل أي: طلبت ونقول توسَّلت بكذا أي كذا طريقا إلى بغيتي، في حين الذريعة هي الطريقة نفسها.

و من معان الذريعة السَّبَب و الطريق الموصل إلى الشيء المقصود (ابن منظور، لسان العرب 8 /96)، ومن هنا يقال فلان ذريعتي إليك أي سببي الذي أتسبب به إليك.

و تذكر كتب اللغة و المعاجم أن الذريعة في أصل وضعها كانت تُطلق على الدَّريئة وهي الجمل الذي يُترك في الفيافي والصحاري حتى تأنس إليه الحيوانات التي يراد اصطيادها، ثم يعمد صاحب الجمل إلى الجمل وقد عرف الجمل صاحبه فيتخذه وسيلة لاصطياد الحيوانات التي تدنوا من الجمل المهمل، هذا أصلها ثم قيل لكل شيء كان سببا لشيء فهلك به كما هلكت هذه الوحوش لاغترارها بهذا الجمل (الجبي، شرح غريب ألفاظ المدونة ص) فهذا أصل الذريعة، وفي هذا المعنى قيل البيت الشعريّ :

وللمَنِيَّةِ أَسْبابٌ تُقَرِّبُها

كَمَا تُقَرِّب للوَحْشِيَّة الذُّرُع

(ابن منظور، لسان العرب 8 / 96)

ويطلق الذَّريعُ على الشفيع، وذَرعتُ لفلان شَفعتُ له، و الذَّرعُ والذِّراعُ الطاقة والوسع لذا يقال ضاق به الأمرذرعا وضاق به ذِراعا أي ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا (الزمخشري، أساس البلاغة 1 /311)، فأصبح يُضرب مثلا لكل من عجزعن الوصول إلى مبتغاه.

فالذريعة في معناها اللغوي هي المقدمة التي تسبق النتيجة والسبب الموصل إلى المآل.

2-2 -الذرائع في الاصطلاح:

بالاستقراء نجد أن لفظ الذرائع يحمل على وجهين:

الوجه الأول: الذرائع بمعنى الطرق المفضية إلى المقاصد (أي الذرائع عموما)، أو ما يُعبرعنه بالإطلاق العام.

الوجه الثاني: الذرائع بالمعنى اللقبي المتعارف عليه لدى علماء الفقه وأصوله و هو الذي يعني بحثنا و خلاصته: منع الجائز لأنه يجرُّ لغير الجائز، و هذا المعنى موجود في المؤلفات المعاصرة تحت عنوان المعنى الخاص للذريعة.

و نفصّل في هذين الوجهين على النحو الآتي:

2 - 2 - 1 -الذرائع عموما (الإطلاق العام):

الذرائع بهذا المعنى مُطلق الوسائل، بمعنى الطُرق المؤدية إلى المقاصد والغايات، قال ابن القيم الوسائل «الذريعة ما كان وسيلة و طريقا إلى الشيء» (ابن القيم : إعلام الموقعين 4/ 553).

و تُذكر عادة في باب المقاصد والوسائل، لأن للأحكام موردين: مقاصد وهي الأمور المكونة للمصالح والمفاسد في ذاتها، ووسائل وهي الطرق المفضية إلى المقاصد، و هي كل ما يتوصل به إلى المقاصد سواء كانت الوسائل و المقاصد مشروعة أو غير ذلك .

فمثلا نجد في بطون المؤلفات من

يذكر الذريعة و يقصد بها الوسيلة يُفهم هذا من خلال التتبع الدقيق لسياق الكلام، فيُعبر عن الذرائع أحيانا في هذا المعنى بالوسائل عند بعض العلماء،قال القرافي « وربما عبر عن الوسائل بالذرائع « (القرافي، الفروق 2/32.)، و نذكر مثالا على ذلك ما ذكره الإمام الشافعي حيث قال « أن ما كان ذريعة إلى منع ما أحل الله لم يحل، وكذلك ما كان ذريعة إلى إحلال ما حرم الله تعالى...فإن كان هذا هكذا ففي هذا ما يثبت أن الذرائع إلى الحلال والحرام تشبه معاني الحلال والحرام» (الشافعي: الأم ص 666، 667)، وكقول محمد بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري في مسألة من انتقد القياس والاستحسان «ولولا الوقوف عند نصوص الشرائع ما انضبط حكم، بل كان ذريعة للحكم بالهوى» (الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي 1 /430.)، فالذريعة بهذا المعنى هي الوسيلة والطريق إلى الشيء (عبد الكريم زيدان: الوجيز في أصول الفقه صفحة 245)، سواء كان هذا الشيء مفسدة أو مصلحة قولا أو فعلا.

2-2-2 -الذرائع بالمعنى اللقبي:

وهو المعنى الاصطلاحي لها و الذي قصر معنى الذريعة على المحظور، قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور «لقب سد الذرائع قد جعل لقبا لخصوص سد ذرائع الفساد» (الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية صفحة 132)، و قال أيضا «هذا المركب لقب في اصطلاح الفقهاء لإبطال الأعمال التي تؤول إلى فساد معتبر، وهي في ذاتها لا مفسدة فيها» (الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية صفحة 129)، وقال ابن تيمية : « الذريعة ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة» (ابن تيمية : بيان

الدليل على بطلان التحليل ص 254) فخُصّص عموم المعنى اللغوي بتقييد الذريعة على ما يؤول إلى الممنوع، أي تعريف الذريعة التي تُسد.

وتجدر الإشارة أن بعض العلماء يذكرون الذريعة خالية من لفظ السّد ويقصدون المعنى الاصطلاحي المعروف لها عند الأصوليين، لكونها تختص بما يفضي إلى المفسدة فقط، مما قد يخفى على غير المتخصِّصين، وعلى هذا فالبعض يعبر عن هذا المعنى بـ : «الذريعة»، أو «الذرائع» ويعبر عنه آخرون بـ : «سد الذريعة» أو «سد الذرائع» (ابن النجار، شرح الكوكب المنير 4 /434)،و لا فرق عندهم من إثبات كلمة «سد» من الكلام أو إسقاطها، لأن المعنى سيكون مُنصبّا على المفهوم المتواضع عليه وهو سد ذرائع الفساد.

3 - سد الذرائع عند المالكية: المفهوم والأقسام

3 - 1 -مفهوم سد الذرائع عند المالكية:

قال أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي «هي الأشياء التي ظاهرها الإباحة ويُتوصَّل بها إلى فعل المحظور»(ابن رشد ،المقدمات 2 / 39).

و عرفها القاضي عبد الوهاب بقوله «الأمر الذي ظاهره الجواز إذا قويت التهمة في التطرق به إلى الممنوع « (القاضي عبد الوهاب الإشراف على نكت مسائل الخلاف 1/ 170).

و عرفها القرافي قائلا «سد الذرائع ومعناه: حسم مادة وسائل الفساد دفعا له فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة إلى المفسدة منع مالك من ذلك الفعل في كثير من الصور» (إبراهيم بن فرحون ،تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام 2/ 269).

و عرّف الشاطبي سد الذرائع بقوله «وكذلك جاء في الشرع أصل سد الذرائع، وهو منع الجائز، لأنه يجر إلى غير الجائز (الشاطبي، الاعتصام 1 /177)، وله تعريف آخر حيث قال «قاعدة سد الذرائع، فإنه منع الجائز لئلا يُتوسل به إلى الممنوع» (الشاطبي، الموافقات 3 /564).

و قال المازري في بيان سد الذرائع «وحدّها : التطرُّق بالجائز إلى ما لا يجوز» (أبي زيد القيرواني، الذب عن مذهب مالك صفحة 434).

أما الباجي فله تعريفين لسد الذرائع، الأول عرّف القاعدة و جعلها خاصة بالعقود حيث قال في كتابه الحدود «الذرائع ما يُتوصل بها إلى محظور العقود من إبرام عقد أو حلّه» (الباجي، الحدود في الأصول ص 68)، ولكن يُفهم منه أنه في هذا التعريف قد اقتصر على أبرز و أخصِّ صور قاعدة سد الذرائع فقط المتمثلة خاصة في بيوع الآجال وهو أن يبيع سلعة بثمن مؤجّلاً: ثمّ يشتريها من المشتري بأقلّ ممّا باع نقداً، فالرّبا هو الفرق بين السّعرين. لأنّ القصد من المعاملة هو التّحايل على الرّبا، بدليل أن له تعريف ثان أدق حيث قال « هي المسألة التي ظاهرها الإباحة و يُتوصل بها إلى فعل المحظور» (الباجي، إحكام الفصول في أحكام الأصول صفحة 695).

و الإمام الطرطوشي في كتابه الحوادث و البدع عقد بابا سماه « الباب الأول: فيما انطوى عليه الكتاب العزيز من الأمور التي ظاهرها سلم جرّت إلى هلك» (الطرطوشي، الحوادث والبدع ص 23)، ثم فصّل لاحقا فقال في تعريف قاعدة سد الذرائع « منع جائز في الظاهر لما كان يتطرّق به إلى باطن ممنوع» (الطرطوشي : الحوادث و البدع ص 26).

و عرفها ابن العربي « ومعناه كل فعل يمكن أن يتذرّع به أي يتوصل به إلى ما لا يجوز» (أبو بكر ابن العربي، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس 2 /782).

وقال عثمان ابن الحاجب (570 - 646 هـ) « ظاهر جائز ليتوصلا (هنا يتحدث عن البائع و المشتري) به إلى باطن ممنوع حسما للذريعة» (الرصاع، شرح حدود ابن عرفة ص 361، 362).

و لا نكاد نجد لبقية المذاهب من الأحناف و الشافعية تعريفا و توضيحا لقاعدة سد الذرائع لأنهم لا يعدونها ضمن أصولهم المعتمدة (تاج الدين السبكي، الأشباه والنظائر1 /1،ولا يذكرونها إلا في معرض الانتقاد و الرد، إلا في المذهب الحنبلي مثل ابن النجار الحنبلي «الذريعة أي شيء من الأقوال أو الأفعال ظاهره مباح ويتوصّل به إلى محرم» قال «ومعنى سدّها المنع من فعلها لتحريمه» (ابن النجار، شرح الكوكب المنير 4 /434)، وابن تيمية الذي عرّفها بقوله «الفعل الذي ظاهره أنه مباح، وهو وسيلة إلى فعل المحرم» (ابن تيمية ،بيان الدليل على بطلان التحليل ص 254).

وقد ورد في كتاب المذاهب الفقهية الأربعة الذي أنجزته وحدة البحث العلمي بدار الإفتاء بالكويت سد الذرائع « معناه منع ما يجوز، لئلا يتطرق به إلى ما لا يجوز» (المذاهب الفقهية صفحة 81)، وفي التعريف الثاني ورد سد الذرائع «أي المنع ممّا ظاهره الجواز إذا كان وسيلة إلى ارتكاب محرم» (المذاهب الفقهية صفحة 195).

3 - 2 - أقسام الذرائع عند المالكية

الذرائع أقسام مختلفة وليست على درجات واحدة في السّد، وبيان أقسامها ومراتبها يساعدنا كثيرا في إجلاء الغموض الذي قد يشوش على الصورة الحقيقة لقاعدة سد الذرائع، وعليه يعوّل العلماء في الفصل بين الذرائع المعتبرة وبين الذرائع الملغاة، وعلى هذا الأساس قُسّمت الذرائع باعتبارات مختلفة ومتعددة اختلفت وصفا و عددا، وأشهر من قسّمها من المذاهب الفقهية غير المالكية هم الحنابلة كابن القيم (ابن

القيم، إعلام الموقعين 4/554، 555) وتقسيم ابن تيمية (ابن تيمية، الفتاوى الكبرى 3 /139)، ومن الشافعية تقسيم الإمام الزركشي وتقسيم السبكي (السبكي ،الأشباه والنظائر 1 /120) من الشافعية.

أما في المذهب المالكي فقد فصّلوا في تقسيمها كثيرا و أفضل التقاسيم المعتمدة من طرف أهل العلم التي قسمت الذرائع تقسيم القرافي و تقسيم الشاطبي (الشاطبي، الموافقات 3/ 53) وتقسيم القرطبي من المالكية.

وسنكتفي بذكر تقسيم الإمام القرافي حيث قال « إعلم أن الذريعة الوسيلة للشيء، وهي ثلاثة أقسام، منها ما أجمع الناس على سدِّه، ومنها ما اجمعوا على عدم سده، ومنها ما اختلفوا فيه» (القرافي،الفروق 3/266)، ثم فصّل القرافي في هذه الأقسام نوضحها كما يلي :

1. قسم أجمعت الأمة على سده ومنعه وضرب له مثال كحفر الآبار في طرق المسلمين لأنه ذريعة إهلاكهم، وكذلك إلقاء السم في أطعمتهم، وسب الأصنام عند من يعلم من حاله أنه يسب الله تعالى عند سبها، فهذه ذريعة مُعْتَبَرة إجماعاً لأنّها موصِّلة إلى الحرام قطعا، و تحقق فيها الإفضاء إلى المفسدة.
2. قسم أجمعت الأمة على عدم سده، فهو ذريعة مُلغاة غير معتبرة إجماعاً كالمنع من زراعة العنب خشية الخمر، وكالمنع من المجاورة في البيوت خشية الزنا، وهذا القسم هو ذريعة لا تُسد ووسيلة لا تحسم، لندور إفضائه للمفسدة و رجحان مصلحته الأكيدة على مفسدته.
3. قسم اختلف فيه العلماء بين معتبر إياه و مُلغ له، و مثاله النظر إلى المرأة لأنه قد يكون ذريعة للزنا بها، لأن درجات إفضائه إلى

المفسدة غير مقطوع بها و مختلف في حقيقتها و هي مع ذلك فوق النادرة التي حكى القرافي الإجماع على إلغائها.

تقسيم القرافي هو المعتمد من طرف أهل العلم والأكثر اعتبارا بينهم و يمثل الأساس المرجعي

في الباب، اقرّه جمهور العلماء واعتمدوه من المالكية و غيرهم و هو الأشهر، والأكثر تداولا واعتمادا لوضوحه و صحّته.

الخاتمة:

يمكن أن نصل الى جملة من النتائج بعد دراسة أصل سد الذرائع وخصوصيته المالكية فيه إلى ما يأتي:

- لقاعدة سد الذرائع تعاريف كثيرة إلا أنها متقاربة المعنى، و إن تنوعت الألفاظ.
- الذرائع تشمل التصرفات القولية والتصرفات الفعلية.
- الوسيلة في قاعدة سد الذرائع مُقيدة بكونها مباحة و متضمنة لمصلحة معينة، أما إذا كانت الوسيلة محرمة في ذاتها كالقتل والظلم والزنا وشرب الخمر وغير ذلك، فإنها غير داخلة في مسمى قاعدة سد الذرائع.
- كل التعاريف قيّدت الفعل المتوسل إليه بكونه محظورا وغير مشروع ومفسدة بنظر الشرع، وهذا شرط ضروري في قاعدة سد الذرائع.

- أغلب العلماء كابن العربي والباجي وابن رشد والقاضي عبد الوهاب يعرِّفون الذريعة بلفظ ظاهره الجواز وهو اللفظ الأكثر تداولا وشهرة.
- غالبية الأصوليين من المالكية عبّروا عن المتوسل إليه بالمحظور أو الحرام أو غير الجائز وهو تعبير يَعُمّ الحرام والمكروه والقلة منهم من عبّروا عليه بلفظ الفساد (خالد رمضان حسن، معجم أصول الفقه ص 212) كالإمام القرافي، والمقصود بالفساد ماحرّمه الله تعالى عامة، وكل التعريفات تتفق على حصر نتيجة الذريعة في الممنوع شرعا.
- في قاعدة سد الذرائع لا اعتبار للمقاصد والنيات، وإنما مناط الحكم على الأفعال والأقوال بمآلها وما يترتب عليها، يقول الشيخ محمد أبو زهرة " والنظر في هذه المآلات لا يكون إلى مقصد العامل ونيته بل إلى نتيجة الفعل وثمرته، وبحسب النية يثاب الشخص أو يعاقب في الآخرة، وبحسب النتيجة والثمرة يحسن الفعل أو يقبّح في الدنيا ويطلب أو يمنع.
- اختصَّ الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله بتوظيفه لفظ الخوف دون غيره حين قال " الذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يُخاف من ارتكابه الوقوعفي الممنوع « في حين أن لفظ التوسل بالمصلحة هو خاص بالإمام الشاطبي رحمه الله.
- غالبية العلماء اكتفوا بتعريف وبيان الذريعة التي تُسد، دون الذريعة التي تُفتح.

المصادر و المراجع:

1. أبو الوليد سليمان الباجي ،الإشارة في معرفة الأصول و الوجازة في معنى الدليل، تحقيق : محمد علي فركوس، دار البشائر الإسلامية.

2. أحمد الحجي الكردي، بومية بن محمد السعيد، عدنان بن سالم النهام، علي خالد الشربجي، المذاهب الفقهية(1436، 2015)، وحدة البحث العلمي بدار الإفتاء، مراجعة، الطبعة الأولى، 1436، 2015، الكويت.

3. أحمد بن احمد الدردير، الشرح الصغير على اقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك و بهامشه حاشية العلامة محمد الصاوي المالكي، فهرسة: مصطفى كمال وصفي، دار المعارف، القاهرة.

4. أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

5. بدر الدين محمد بن بهاء الزركشي البحر المحيط في أصول الفقه (1413/1992م)، تحرير: عبد الستار أبو غدة مراجعة: الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية.

6. شرح الكوكب المنير: عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بان النجار، تحقيق: محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان.

7. عبد الحليم ابن تيمية بيان الدليل على بطلان التحليل، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، المكتب الإسلامي.

8. عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بان النجار، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان.

9. محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات الشرعيات لأمهات مسائلها المشكلات (1408، 1988)، تحقيق: سعيد احمد أعراب، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.

10.معجم أصول الفقه، خالد رمضان حسن، دار الطرابيشي.

11.جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

12.مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(1426هـ، 2005م)، القاموس المحيط،تحقيق مكتبة التراث في مكتبة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة الطبعة الثامنة.

13. شهاب الدين القرافي(1393هـ 1973 م.) شرح تنقيح الفصول، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة الأولى.

14.أبو عبد الله محمد الأنصاري الرصاع(1993م)، شرح حدود ابن عرفة الموسوم ب: الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الامام ابن عرفة الوافية: تحقيق: محمد أبوا الأجفان والطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت لبنان .

15.ابن القيم الجوزية (1423 هـ) إعلام الموقعين، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى. المملكة العربية السعودية.

16.محمد بن إدريس الشافعي، الأم(1321هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، طبعة بولاق.

17.تاج الدين السبكي الأشباه والنظائر(1411هـ/1991)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

18. إبراهيم بن محمد بن فرحون (2003 / 1423هـ). تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تعليق: الشيخ جمال مرعثلي، دار عالم الحديث الرياض، طبعة خاصة.

19.عبد الوهاب بن نصر البغدادي(1429هـ/ 2008م) الإشراف على نكت مسائل الخلاف، تعليق و تقديم : حسن بن مشهور آل سلمان، دار ابن القيم المملكة العربية السعودية و دار ابن عفان بمصر، الطبعة الاولى.

20. أبـوا إسـحـاق إبـراهـيـم الـشـاطبي (1421هـ/2000م) الاعتصام: تقديم: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد ،الطبعة الأولى المنامة البحرين.

21.خـدوم مصطفى كرامة الله (1420هـ/ 1999م)، قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى دار اشبيليا، المملكة العربية السعودية.

22.أبـــو بـكـــر الـــطـــرطـــوشـــي (1419هـ/1998م)،الحوادث و البدع، تعليق: علي بن حسن الحلبي، دار بن الجوزي، الطبعة الثالثة، المملكة العربية السعودية.

23. أيـــوب بـــن مـــوسـى الـحـسـيـني الكفوي(1419هـ / 1998م)، الكليّات (معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة) وضع الفهارس: محمد المصري وعدنان درويش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية.

24.محمود بن احمد عمر الزمخشري (1419هـ /1998م)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى.

25. الزمخشري(1419هـ /1998م)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى.

26.شهاب الدين القرافي(1421هـ /2001م) (أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، دار السلام مصر القاهرة، الطبعة الأولى.

27.عبد الحليم ابن تيمية(1416هـ/1995م) مجموع الفتاوى: المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

28. أبو الوليد سليمان الباجي (1415هـ /1995م)،إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت.

29.أبو الوليد سليمان ابن حلف الباجي (1392 /1973م) الحدود في الأصول، تحقيق: نزيه حماد، مؤسسة الزعبي الطبعة الأولى: 1392 /1973م.

30.ابن فارس(1399هـ / 1979م) معجم مقاييس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

31.الفيروزآبادي(1426هـ/2005م)، القاموس المحيط، تحقيق مكتبة التراث في مكتبة الرسالة، إشراف : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة الطبعة الثامنة.

32.محمد الطاهر بن عاشور(1425 هـ-2004 م)، مقاصد الشريعة الإسلامية، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

33.محمد بن محمد الحجوي(1416هـ-1995م)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي،دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى.

سلطة الحاكم في تقييد المباح
-الحجر الصحي للوقاية من جائحة كورونا نموذجا-

أ. خليفة بشاطة
مديرية الشؤون الدينية والأوقاف قسنطينة

مقدمة:

يعد مصطلح تقييد المباح من القضايا المستحدثة، وإن كانت الفكرة حاضرة في أذهان ومصنفات القدامى، إلا أنها لم تأخذ حظها من التنظيروالتنظيم كما هي عليه اليوم.

ومع ظهور جائحة كورونا كوفيد 19 كثر الحديث عن تقييد المباح، لا سيما من قبل الأنظمة والحكومات، حيث دعا الأطباء وأصحاب القرار إلى ضرورة فرض الحجر الصحي المنزلي وتقييد حركة الناس وتصرفاتهم المعتادة كإجراءات استباقية للحد من انتشار الوباء، فقد ثبت أن عدوى الوباء تنتقل بالمخالطة والاحتكاك والتنقل، ونحو ذلك من الممارسات المباحة.

فما مدى مشروعية مبدأ تقييد المباح؟ ومن له سلطة تقييد المباح؟ وما شروط تقييده؟ وما علاقة الحجر الصحي بتقييد المباح؟.

1. تعريف مبدأ تقييد المباح ومشروعيته:

1.1 تعريف المباح:

1.1.1 تعريف المباح لغة : للمباح في اللغة عدة معاني هي: الظهور، والإطلاق، والتوسعة، والشيء المأذون فيه.

يقال: باح الشيء: ظهر: وباح بسره: أظهره، وأبحتك الشيء: أحللته لك،

وأباح الشيء: أطلقه، والمباح: خلاف المحظور، وتبجح في المجد: أي أنه في مجد واسع. (ابن منظور، لسان العرب، 2005، صفحة 2 / 486).

2.1.1 تعريف المباح اصطلاحا:

هوما خير الشارع المكلف فيه بين الفعل والترك، فله أن يفعل، وله ألا يفعل. (أبو زهرة، صفحة 36)

2.1 تعريف مبدأ تقييد المباح:

التقييد في اللغة معناه المنع، وفي الحديث: قيد الإيمان الفتك، أي أن الإيمان يمتع عن الفتك، كما يمنع عن التصرف. (ابن منظور، لسان العرب، 2005، صفحة 3/458)

وأما تقييد المباح فهو مصطلح مستحدث، حيث لم يكن معروفا بهذه الصيغة من قبل،وإن كان معناه ومدلوله بارزا في السنة النبوية وفي اجتهادات وآراء الصحابة الكرام.

وحيث إن المصطلح ورد على ألسنة الباحثين المعاصرين فقد حاول هؤلاء وضع تصور شامل يضبط حقيقته ويجلي مفهومه.

فعرفه بعضهم بأنه: (توقيف العمل بأحد طرفي حكمه الأصلي، وإيجاب أو منع الطرف الآخر، بحيث يرفع ما كان للمكلف من خيرة فيه، فيصبح واجبا أو ممنوعا فترة معينة من الزمن اقتضتها ظروف طارئة، ولاسيما عند الإساءة في التصرف في المباح، إضرارا بالصالح العام وقت الأزمات، مما يوجب على الرئيس الأعلى في الدولة أخذ الحيطة للحيلولة دون وقوع الضرر العام من جراء استعمال المباح على وجه الإساءة من قبل معظم الأفراد... ولا يتم ذلك إلا عن طريق أهل الخبرة والاختصاص بالشؤون العامة، ولأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب). (الدريني، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، 1987، صفحة 448).

وعرفه أحد الباحثين بقوله: هو أن تقوم الدولة بوضع قيود وضوابط تشريعية أو عملية على المباح الذي له تعلق بحقوق الغير، أو منعه أو الإلزام به اعتبارا للمصلحة (الموس، تقييد المباح دراسة أصولية وتطبيقات فقهية، 2014، صفحة 202)

يستفاد من التعريفين السابقين ما يأتي:

- أن المعنى الأساس لتقييد المباح هو تغيير حكم الإباحة إلى أحكام أخرى من الوجوب أو التحريم أو الندب أو الكراهة.
- أن سبب هذا التقييد هو ما يترتب على فعل المباح من إضرار بالمصلحة العامة في الظروف الطارئة.
- أن هذا التقييد ظرفي ومؤقت لفترة معينة من الزمن.
- أن الذي له سلطة تقييد المباح هو الرئيس الأعلى في الدولة أو من يوكلهم الرئيس من أهل الخبرة والاختصاص.

3.1 مشروعية مبدأ تقييد المباح :

مبدأ تقييد المباح الذي قال به الفقهاء والأصوليون، تشهد له نصوص شرعية متعددة،مما يدل على أصالته، ومن هذه النصوص :

أ- عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من ضحى منكم فلا يصبحن في بيته بعد ثالثة شيئا) فلما كان في العام القبل، قالوا: يا رسول الله نفعل كما فعلنا عام أول فقال: (إن ذاك عام كان الناس فيه بجهد، فأردت أن يفشو فيهم). (البخاري م.، الجامع الصحيح، 1422هـ، صفحة 7/103) (مسلم، الجامع الصحيح، دت، صفحة 36/563).

أباح الإسلام للمسلم أن يأكل من أضحيته ويدخر منها، لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ الحج: -36- وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا

﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ الحج: 26-.

لكن عند وجود حاجة طارئة في المجتمع الإسلامي، فإنه يجوز لولي الأمر أن يقيد هذه الإباحة عن طريق فرض ما يحقق التكافل بين المسلمين، وأسوته في هذا رسول الله، فقد فرض على الصحابة أن يتضامنوا مع إخوانهم، ويقاسموهم أضاحيهم، ونهى أن يدخر شيء منها أكثر من ثلاثة أيام.

فالنهي والمنع النبوي يجب النظر إليه على أنه من تصرفات الإمام المسؤول عن رعيته، ومن مقتضيات السياسة الشرعية التي ترتبط بمناسباتها، فهو ليس أكثر من تقييد المباح وإيجاب المعونة لظرف اقتضاه. (القرضاوي، 1989، صفحة 159).

ب- عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها). (مسلم، الجامع الصحيح، دت، صفحة 2/672). وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (زوروا القبور فإنها تذكر الموت). (مسلم، الجامع الصحيح، دت، صفحة 2/671).

زيارة القبور كانت مباحة قبل الإسلام، ثم جاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأقرها بسكوته، ثم إنه لما لاحظ ما يفعله النساء أثناء الزيارة من بكاء وعويل وعدم الصبر، نهاهن عن الزيارة، وتشديدا في النهي لعن الزائرات منهن، ثم لحداثة عهد الناس بعقيدة التوحيد وقربهم من عقيد الشرك، نهى النبي عن الزيارة نهيا عاما.

ثم لما تمكن الإيمان من القلوب واستقر التوحيد في العقول والنفوس، عاد النبي إلى الإذن بالزيارة إذنا عاما يشمل الرجال والنساء لأن الغرض من إباحة ذلك إنما هو الاتعاظ، وهذا يحتاج إليه الرجال والنساء على حد سواء.

فهذه العملية ليست إلا تقييدا للإباحة لعلة، وعلى هذا يكون تقييد النبي صلى الله عليه وسلم تشريعا لأولي

الأمر والفقهاء من بعده، فيمكنهم النهي عن المباح متى تبين لهم الانحراف في قصد تناوله. (عبد اللاوي، 2011، صفحة 168،169).

ج- عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه). (مسلم، الجامع الصحيح، دت، صفحة 4/298).

يقول الإمام النووي: وكان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أمن ذلك أذن في الكتابة، وقيل: إنما نهى عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة، لئلا يختلط فيشبه على القارئ في صحيفة واحدة. (النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 1392هـ، صفحة 18/103).

فالأصل في الكتابة الإباحة، حيث يباح للمسلم كتابة ما يحتاج إليه من العلوم أو الحقوق، ويدخل في ذلك حديث رسول الله السابق، لكن رسول الله في بداية الإسلام أراد أن تتوجه همة المسلمين إلى كتابة القرآن وحده وحفظه، وألا يشغل المسلمون أنفسهم بكتابة شيء غير القرآن، فنهى النبي عن تدوين حديثه، وفي هذا تقييد للمباح أو منع منه، لكن لما تحقق الغرض الذي من أجله نهى النبي عن الكتابة، لم يبق للنهي مسوغ، فكتب من الصحابة من كلامه ما كتب وذلك بعلمه وأمره عليه السلام. (الطحان، صفحة 10).

4.1 شروط تقييد المباح:

سلطة تقييد المباح التي منحتها الشريعة للحاكم ليست سلطة مطلقة، تخضع لرغبته، بحيث يمكنه فعل ذلك متى شاء وكيفما شاء، بل هي سلطة تخضع لضوابط وشروط يجب مراعاتها عند ممارسة هذا الحق تجنبا للتعسف في ممارسته. وهذه الضوابط هي: (الموس، تقييد المباح دراسة أصولية وتطبيقات فقهية، 2014، صفحة 232).

أ- ترتب الضرر على فعل المباح أو تركه.

ب- تحقق المصلحة الراجحة والتزام العدل في تقييد المباح.

ج- كون التقييد مؤقتا.

د- تولي تقييد المباح من هو أهل له.

هـ- توفير البديل عند منع المباح وتعويض المتضرر من التقييد.

5.1 سلطة تقييد المباح:

أولى من أسندت له سلطة تقييد المباحات عند قيام صحيح المقتضيات هو شخص الحاكم القائم بأمر الله، وذلك بما خصه الله به من شرف قيادة الرعية، وما طوف به عنقه من قلادة صون مصالحها المرعية.

وإنما أسندت الشريعة تقييد المباح إلى الدولة ممثلة في رئيسها أو أجهزتها، ولم تدع ذلك إلى الأفراد وإلى آحاد الناس لتعلق الأمر بالمصلحة العامة، التي كلف أولياء الأمور بمراعاتها في تشريعاتهم واجتهاداتهم... فولي الأمر هو الذي يحسم النزاع عند اختلاف المجتهدين لأن حكم الحاكم يرفع الخلاف، وهو الذي ينسق الآراء ويقرب وجهات النظر، ويتخذ القرار المناسب بما يحقق مقاصد سلطته التي هي مناط مشروعية تصرفه.

فلا حرج على الدولة في ممارسة هذه السلطة وفي سن التشريعات والقوانين والإجراءات المتعلقة بها، أسوتها في ذلك نبينا عليه السلام الذي قام بتقييد المباح عندما دعت الضرورة إلى ذلك، ومن بعده خلفاؤه الراشدون كما مر بنا في جزئية مشروعية تقييد المباح.

على أن هذه السلطة ليست مطلقة بل هي مقيدة بالمصلحة، فإذا كان الباعث على تقييد المباح هو تحقيق مقاصد الشرع ورعاية مصالح الناس، فإنه يكون مشروعا، وتعتبر أوامر ولي الأمر عندئذ مرعية نافذة شرعا، لا تجوز مخالفتها أو الخروج عنها.

ومن القواعد الأصولية العامة التي لها علاقة بالسياسة الشرعية قاعدة: (تصرف الإمام على الرعية

منوط بالمصلحة) وهي من أعظم قواعد السياسة الشرعية والولايات العامة والخاصة في الإسلام.

وانطلاقا من هذه القاعدة التي تشهد لها نصوص القرآن والسنة ومن ذلك:

نصوص القرآن الكريم التي أمرت بالمحافظة على أموال اليتامى ونهت عن أكلها ظلما وعدوانا، ونصوص السنة كما في حديث البخاري: **(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)**، وقول سيدنا عمر رضي الله عنه: (ألا إني أنزلت نفسي من الله منزلة الولي من مال اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت) (ابن نجيم، 1999، صفحة 105).

انطلاقا من هذه القاعدة قرر الفقهاء أن نفاذ تصرف الراعي على الرعية ولزومه عليهم شاؤوا أم أبوا معلق ومتوقف على وجود الثمرة والمنفعة في ضمن تصرفه، دينية كانت أو دنيوية، فإن تضمن منفعة ما وجب عليهم تنفيذه وإلا رد، لأنه مأمور من قبل الشارع أن يحوطهم بالنصح، ومتوعد من قبله على ترك ذلك بأعظم وعيد. (الزرقا، 2007، صفحة 309).

وإذا ثبتت مشروعية قيام ولي الأمر بتقيد المباح، فهل تعتبر طاعته واجبة؟ أم يجوز للرعية الامتناع عن الطاعة والتنفيذ لما يقيده من المباحات؟

ونجد الإجابة عن هذا التساؤل واضحة في القرآن الكريم وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة كثيرة في هذا الباب، وهي متظافرة على وجوب طاعة ولي الأمر فيما يأمر به وينهى عنه مما يجلب المصلحة للرعية ويدرأ المفسدة عنها.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ النساء: 59-.

وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن أولي الأمر في الآية الكريمة هم الحكام والسلاطين، وأن المراد هو وجوب طاعتهم فيما يأمرون به، وينهون عنه، ما لم تكن معصية. ولاشك أنه يدخل في ذلك طاعتهم فيما يقيدوه من المباحات إذا كان في ذلك مصلحة. (ابن كثير، 2003، صفحة 1/236،239).

ومن الأحاديث النبوية ما رواه عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة**). (البخاري م.، الجامع الصحيح، 1422هـ، صفحة 9/63) (مسلم، الجامع الصحيح، صفحة 3/469).

وإذا لم يكن في تقييد ولي الأمر للمباح معصية، فإن السمع والطاعة على المرء المسلم واجبة. وأكد الفقهاء وجوب الامتثال لولي الأمر فيما يقيد من المباحات وذلك حفاظا على استقرار الدولة ووحدة الأمة وتحقيقا لمصالحها، وإذا تدخلت الدولة في الشأن العام فهي تستند إلى حكم شرعي ولا يجوز لها ذلك إلا في حدود الضرورة وكفالة الصالح العام مع مراعاة العدل بين الناس. (الدريني، الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، 1984، صفحة 73).

2. تعريف الحجر الصحي المنزلي:

اعتمدت العديد من البلدان في العالم قانون الحجر الصحي المنزلي للحد من انتشار جائحة كورونا كوفيد 19 والتخفيف من آثارها، حيث فرض على الناس المكث في بيوتهم ومنع الاحتكاك والتجمعات بمختلف أشكالها وفرض التباعد الجسدي منعا لانتقال العدوى.

والحجر في اللغة: هو المنع والتضييق، يقال: حجر عليه أي ضيق عليه.

والمعنى الاصطلاحي: للحجر المنزلي غير بعيد عن المعنى اللغوي، حيث يقصد به تلك الممارسة أو الاستراتيجية الوقائية التي تقيد حركة الأفراد في حال تفشي الأمراض المعدية.

وقد يفرض على الأصحاء كإجراء وقائي لمنع انتقال المرض إليهم ولحمايتهم منه، وقد يفرض على المصابين لمنع انتقال العدوى إلى غيرهم وهو ما يعرف بالعزل الصحي، حيث يعزل المرضى ويمنعون من مخالطة الأصحاء لفترة معينة إما طوعيا وإما إجباريا في المستشفيات والمنشآت الصحية.

ويفضل البعض بدل مصطلح الحجر المنزلي مصطلح حظر التجول وهو يعني منع حركة الناس في منطقة ما أو بلد لظروف استثنائية والتي تكون عادة ضمن مدى زمني معين، كأن يفرض على سبيل المثال حظر التجول من بعد المغرب إلى ما بعد الفجر، وفي العادة يفرض حظر التجول من قبل الحكومة، وتلجأ إليه السلطات في الظروف الطارئة مثل الحروب وانتشار الأمراض والأوبئة. (حظر التجول، 21 جويلية 2021 ،www.wikipedia.org).

3. تعريف جائحة كورونا كوفيد 19:

حسب منظمة الصحة العالمية فإن فيروسات كورونا تعتبر من ضمن فصيلة كبيرة من الفيروسات التي تسبب المرض للإنسان والحيوان، حيث تسبب لدى البشرية حالات عدوى للجهاز التنفسي، وتبدأ حدة العدوى من نزلات البرد إلى أمراض أشد مثل متلازمة سارس، ويمكن انتقال الفيروس في جميع المناطق ذات الطقس الحار والرطب، ويعتبر فيروس كوفيد 19 المكتشف مؤخرا مرضا معديا يسببه فيروس كورونا المستجد.

وقد صنفت المنظمة فيروس كوفيد 19 جائحة بتاريخ 11 مارس 2020 بسبب سرعة تفشي عدوى الفيروس واتساع نطاقها.

ومن طرق انتقاله:

- الانتقال المباشر من خلال الرذاذ المتطاير من المريض أثناء العطاس أو السعال عند المخالطة المباشرة للمصابين.
- الانتقال غير المباشر من خلال ملامسة الأسطح والأدوات الملوثة بالفيروس ومن تم لمس الفم أو الأنف.
- ومن أعراض الإصابة به:
- حمى (39 درجة) مع سعال وعطاس والتهاب وانسداد الجيوب الأنفية.
- إسهال مع استفراغ.
- ضيق مع صعوبة في التنفس.
- قد يتطور إلى التهاب الرئة والقصبات الحاد، وقد يؤدي إلى الوفاة.
- اضطراب وفشل كلوي يؤدي إلى الوفاة.

- ومن طرق الوقاية منه:
- تجنب الاختلاط المباشر بالمصابين أو مشاركتهم أدواتهم الشخصية.
- لبس الكمامات في الأماكن المزدحمة.
- المحافظة على النظافة الشخصية بغسل الأيدي واستعمال المعقمات وغسل الأسطح والأرضيات.
- مراجعة الطبيب عند الضرورة.
- استعمال اللقاح المضاد للفيروس المكتشف مؤخرا خصوصا لكبار السن وأصحاب الأمراض المزمنة. (إيناس عبد المجيد الرشيد، 2020، فيروس كورونا، www.researchgate.net)

4. الحجر الصحي للوقاية من الجائحة وعلاقته بتقييد المباح:

4 - 1 -التدابير التشريعية للحجر الصحي المنزلي بسبب جائحة كورونا كوفيد 19:

أصدرت الجزائر –مثل معظم دول العالم- جملة من التشريعات والقوانين المتعلقة بالحجر الصحي المنزلي من أجل مكافحة ومجابهة جائحة كورونا كوفيد 19، وقد كانت هذه التشريعات في شكل مراسيم تنفيذية صدرت بالجريدة الرسمية، حددت مفهوم الحجر المنزلي وأهدافه وآليات تنفيذه.وكان ذلك كالآتي:

- نظرا لخطورة الوباء فقد تدخل المشرع الجزائري بالمرسوم التنفيذي رقم: -20 70، تكملة للوقاية من انتشار وباء كورونا كوفيد 19 ومكافحته، وقد عد المرسوم ولاية البليدة منطقة وباء وأخضعها لحجر منزلي كامل لمدة 10 أيام قابلة للتجديد، والجزائر العاصمة لحجر جزئي منزلي من الساعة: 19.00 مساء إلى الساعة 07.00 صباحا، لمدة 10 أيام قابلة للتجديد. (مرسوم 20-70 المؤرخ في 24 مارس 2020، تكملة للوقاية من انتشار الوباء (ج ر، العدد 16، الصادرة في 24/3/2020).
- ثم أصدرت الجهات التنفيذية مرسوما آخر، وهو المرسوم التنفيذي رقم: 72-20، يتضمن تمديد الحجر المنزلي الجزئي إلى بعض الولايات للتصدي لتفشي الفيروس وهذه الولايات هي: باتنة، تيزي وزو، وهران، قسنطينة، المدية، بومرداس، سطيف، تيبازة، وهذا ابتداء من الساعة 19.00 مساء من يوم 28 مارس 2020. (مرسوم 20-72 المؤرخ في 28 مارس 2020، المتضمن تمديد الحجر الجزئي المنزلي إلى بعض الولايات (ج ر، العدد 17، الصادرة في 28/3/2020).
- ثم جاء المرسوم التنفيذي رقم 20 - 86 المتضمن تمديد الأحكام

المتعلقة بتدابير الوقاية من انتشار الوباء ومكافحته والذي أضاف بعض الولايات (بجاية، مستغانم، برج بوعريريج) للحجر المنزلي الجزئي من الساعة 19.00 مساء إلى الساعة 7.00 صباحا إلى غاية 19/04/2020 مع إمكانية تمديدها. (مرسوم 20 - 86 المؤرخ في 02/04/2020، المتضمن تمديد الأحكام المتعلقة بتدابير الوقاية من انتشار وباء كورونا (ج ر، العدد 19، الصادرة في 02/04/2020).

- بعد استفحال الوباء وانتشاره جاء مرسوم تنفيذي برقم 20- 100 حيث عمل على تمديد العمل بالتدابير الاحترازية ومن بينها الحجر المنزلي الذي تم تحديده من 20 أبريل إلى غاية 29 منه. (مرسوم 20 - 100 المؤرخ في 19/04/2020، المتضمن تجديد العمل بنظام الوقاية المتعلقة بانتشار وباء كورونا (ج ر، العدد 23، الصادرة في 19/04/2020).
- تم تدخل المشرع مرة أخرى بموجب المرسوم التنفيذي رقم 20 - 102، يتضمن تمديد الحجر المنزلي الجزئي لمدة 15 يوما ابتداء من يوم 30 أبريل 2020 عبر كامل التراب الوطني من الساعة 19.00 مساء إلى الساعة 07.00 صباحا من يوم الغد، ويستثنى من هذا التوقيت بعض الولايات (بجاية، تيزي وزو، وهران، تلمسان، الجزائر، المدية، عين الدفلى، سطيف، تيبازة) من الساعة الخامسة مساء إلى الساعة السابعة صباحا، كما استفادت ولاية البليدة من تمديد الحجر المنزلي الجزئي من الساعة الثانية بعد الزوال إلى الساعة السابعة صباحا، بعد أن كانت تخضع

للحجر المنزلي الكلي. (مرسوم -20 102 المؤرخ في 23/04/2020، المتضمن تمديد الحجر الجزئي المنزلي وتعديل أوقاته (ج ر، العدد 24، الصادرة في 26 /04/2020).

ثم توالت المراسيم التنفيذية بالصدور تارة تضيف أحكاما جديدة متعلقة بالوقاية من الجائحة وأخرى تعدل الأحكام التي سبقتها.

كل هذه التدابير وغيرها، دليل على خطورة الوباء وانتشاره مما دفع الدولة إلى التدخل المرة بعد الأخرى للوقاية منه والحد من انتشاره.

ويلاحظ على هذه التشريعات أنها اتسمت بالتدرج في التشريع من جهة حيث لم يفرض الحجر المنزلي دفعة واحدة على كامل التراب الوطني، كما اتسمت من جهة ثانية بمراعاة الحالة الصحية لكل منطقة أو ولاية وعلى ضوء الظرف الصحي لكل ولاية يتم تحديد توقيت الحجر المنزلي، حيث فرض الحجر المنزلي الكلي على ولاية البليدة نظرا لأنها أصبحت بؤرة للوباء، ولم يرفع هذا الإجراء إلا بعد التأكد من تحسن الوضعية الصحية، في حين تم فرض الحجر المنزلي الجزئي في باقي الولايات مع اختلاف طفيف في التوقيت.

2.4 مشروعية الحجر الصحي المنزلي وعلاقته بتقييد المباح:

ثبت أن حق الحركة والتنقل للأفراد من الحقوق المدنية التي أقرتها ودعت إلى حمايتها جميع الشرائع والنظم والقوانين الوضعية، ومنعت الاعتداء عليها أو سلبها من أصحابها دون وجه حق أو مصلحة تقتضي ذلك.

وهذا الحق يندرج كذلك في إطار الحريات والمباحات، حيث أن لكل شخص الحرية في التنقل والحركة متى شاء وكيفما شاء، ما لم يترتب عن تعاطيه لهذه الحرية أو الإباحة إلحاق الضرر به أو بالآخرين.

وقد سبقت الإشارة إلى أن التصرف في المباح مأذون فيه في الحالات العادية التي لا يترتب عنها أي أذى أو ضرر، أما إذا رأينا مباحا يؤول تعاطيه إلى مفسدة أو ضرر فإن الواجب هو التدخل لإيقافه ومنع صاحبه من ممارسته .

وقد ثبت بالأدلة القاطعة والاحصاءات العلمية الناصعة أن جائحة كورونا كوفيد 19 وباء فتاك سريع الانتشار والانتقال بين الأفراد، بل بين الدول والمجتمعات، وأن ضرره يقيني، كما أن كثرة التنقل وترك الحرية لذلك يؤدي إلى توسيع دائرة الإصابة به، وقد بدأ الوباء بإصابة واحدة في مكان ما من العالم وهو الآن يغزو الأرض ويلحق بساكنيها دمارا شاملا في كل نواحي الحياة، وتجاوزت حالات الإصابة به إلى حد كتابة هذه الأسطر 260 مليون حالة، أما عدد الوفيات فيفوق 5 ملايين حالة.

فمن هذه الأدلة القاطعة والإحصاءات المروعة يستمد تدخل الدول للحد من انتشاره مشروعيته وجدواه، ولا يمكن النظر إلى هذا التدخل على أنه ضرب من التعدي على الحقوق والحريات أو حرمان لهم من حقهم في تعاطي المباحات المسموح بها شرعا وقانونا، ولكنه نوع من تقييد المباح بشكل مؤقت واستثنائي فرضته مصلحة حفظ النفوس من التلف، وهي مصلحة معتبرة شرعا وعقلا.

ولقد أصابت مثل هذه الجوائح والأوبئة البشرية في عصور خلت وكان تعاملها معها بتقييد المباحات والحريات وفرض الحجر الصحي المنزلي من أجل محاصرة خطرها وضررها.

وقد ثبت في السنة النبوية وأفعال الصحابة الكرام ما يدل على مشروعية الحجر الصحي المنزلي وعلى أحقية تدخل ولي الأمر لتقييد المباح جلبا للمصلحة ودرءا للمفسدة انطلاقا من قاعدة تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة، ومن هذه الأدلة:

أ- ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(لا يوردن ممرض على مصح)**. (البخاري م.، الجامع الصحيح، 1422هـ، صفحة 7 /138) (مسلم، الجامع الصحيح، صفحة 4 /743).

قال النووي رحمه الله: أرشد في هذا الحديث إلى مجانبة ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره. (النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 1392هـ، صفحة 14 /214).

واستشكل بعض الناس هذا الحديث لظنهم أنه يعارض حديثا آخر وهو قوله عليه الصلاة والسلام «لا عدوى»، والصحيح الذي عليه جمهور العلماء هو وجوب الجمع بين الحديثين، حيث قالوا أن حديث لا عدوى المراد به نفي ما كانت الجاهلية تعتقده أن المرض والعاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله تعالى، وأما حديث «لا يورد ممرض على مصح» فأرشد فيه إلى ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره، فنفى في الحديث الأول العدوى بطبعها ولم ينف حصول الضرر عند ذلك بقدر الله وفعله، وأرشد في الثاني إلى الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل الله وإرادته. (النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، صفحة 14 /214).

وحديث «**لا يورد ممرض على مصح**» أصل عظيم من أصول الحجر الصحي وقد ذهب شراحه إلى أن المعنى: لا يورد صاحب إبل مراض على صاحب إبل صحاح، أي إذا ورد الجميع الماء فالممرض صاحب الإبل المراض لا يوردها مع صاحب الإبل الصحاح.

والحديث يرشد إلى وجوب الوقاية من كل الأمراض المعدية سواء ما أصاب منها الحيوانأم الإنسان، فهو أصل عام في الوقاية وتجنب الضرر وترك مجالسة المريض ومخالطته لأن ذلك ينقل العدوى وينشر المرض.

ب- عن عمرو بن الشريد عن أبيه، قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم (إنا قد بايعناك فارجع). (مسلم، الجامع الصحيح، صفحة 4 /752).

وقد نفى النووي أن يكون الأمر باجتناب المجذوم منسوخا كما ذهب إلى ذلك عمر وغيره من السلف وأنه لا حرج في الأكل معه، والصحيح الذي قاله الأكثرون ويتعين المصير إليه أن لا نسخ ويحمل الأمر باجتنابه والفرار منه على الاستحباب والاحتياط. (النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، صفحة 14 /228).

ويرشد الحديث إلى أن وفدا من ثقيف جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعه وكان فيهم رجل مجذوم أي مصاب بمرض الجذام وهو مرض يشوه الجسم ويعتبر من الأمراض المعدية، فأمره الرسول أن لا يقدم عليهم واكتفى بمبايعته دون لقائه، وهذا من باب الاحتياط لئلا ينقل العدوى إلى غيره وهو يشير إلى مشروعية الحجر على المرضى بالأمراض المعدية ومنعهم من مخالطة غيرهم.

ج- عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(... وفر من المجذوم كما تفر من الأسد)**. (البخاري م.، الجامع الصحيح، صفحة 7/126).

ذكر ابن حجر العسقلاني تعليلات متعددة للأمر النبوي بالفرار أي الهرب من المجذوم ومنها: حمل الأمر بالفرار منه على رعاية خاطر المجذوم لأنه إذا رأى صحيح البدن تعظم مصيبته وتزداد حسرته، ومنها: أن الأمر بالفرار منه لأمر طبيعي وهو انتقال الداء من جسد لجسد بواسطة الملامسة والمخالطة وشم الرائحة ونسب هذا التفسير إلى ابن قتيبة. (العسقلاني، فتح الباري ، 1379هـ، صفحة 10/160).

د - عن عبد الله بن عباس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذ كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد، أبو

عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام. قال ابن العباس: فقال عمر أدع إلي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نرى أن نقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني ثم قال: أدع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، قال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر رضي الله عنه: لوغيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمان بن عوف متغيبا في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علما، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» فقال فحمد الله عمر ثم انصرف.** (البخاري م.، الجامع الصحيح، صفحة 7/130) (مسلم، الجامع الصحيح، صفحة 4/740) قال ابن حجر: وفي هذا الحديث جواز رجوع من أراد دخول بلدة فعلم أن بها الطاعون وأن ذلك ليس من الطيرة وإنما هي من منع الإلقاء إلى التهلكة. (العسقلاني، فتح الباري، صفحة 10/187).

وقد وردت أحاديث أخرى تحث على الصبر عند ظهور الطاعون وتبشر من مكث في بلده صابرا محتسبا، بأن له مثل أجر الشهيد.

فعن عائشة قالت: سألت رسول الله صلى الله عنه وسلم عن الطاعون فأخبرني:«أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابرا محتسبا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد». (البخاري م.، الجامع الصحيح).

قال ابن حجر: مفهوم هذا الحديث كما اقتضى منطوقه أن من اتصف بالصفات المذكورة، أن يمكث في بلده صابرا محتسبا، يحصل له أجر الشهيد وإن لم يمت بالطاعون. (العسقلاني، فتح الباري، صفحة 7/131).

فهذه الأحاديث وغيرها تفيد في مجموعها ضرورة الاحتياط عند وقوع الأوبئة وهي دليل على وجوب الوقاية من الأمراض المعدية، ومن وسائل الوقاية الأخذ بالحجر الصحي ومنع المرضى من الاحتكاك بالناس، وما نهيُ النبي الرجل من ثقيف عن القدوم، وأمره بالفرار من المجذوم، وامتناع سيدنا عمر رضي الله عنه عن دخول الشام، وتبشيره عليه السلام من يصبر على الوباء في بلده بالشهادة، ما هذه النماذج إلا دعوة نبوية صريحة إلى تحقيق التباعد الجسدي والالتزام بالحجر الصحي، وما قام به سيدنا عمر من امتناعه عن دخول أرض الشام وهو حاكم المسلمين دليل على أن للحاكم صلاحية منع الناس من الدخول إلى أرض بها وباء كما يمكنه منعهم من الخروج منها، وهذا ما فعلته الدول لمواجهة جائحة كورونا حيث أغلقت حدودها ومطاراتها وألزمت الناس بالمكث في بيوتهم منعا لانتشار الوباء.

وقد بحث المالكية مسألة التعامل مع ذوي الأمراض المعدية، وناقشوا مشروعية منعهم من الاختلاط بالأصحاء في المساجد والأسواق، وحين سئل سحنون عن صلاحية قيام السلطان بعزلهم منعا للضرر أجاب: «أما ورودهم

ماءهم واستسقاهم منه ووضوؤهم فيه وغير ذلك فأرى أن يمنعوا منه ويؤمروا أن يجعلوا لأنفسهم من يستسقي لهم الماء»، وعلل فتواه بقاعدة الضرر، واشترط المالكية لمنع المرض من مخالطة الأصحاء بأن يجري عليهم الإمام ما يكفيهم من الرزق، وأن يتولى الأصحاء توفير الحاجيات الأساسية لهم. (الموس، تقييد المباح دراسة أصولية وتطبيقات فقهية، صفحة 112).

خاتمة :

يمكن استخلاص النتائج التالية :

- يعتبر فيروس كورونا كوفيد 19 مرضا معديا وخطيرا، وقد دفع ذلك منظمة الصحة العالمية الى تصنيفه جائحة وهذه اقصى درجة في سلم تصنيف الأمراض.
- تقييد المباح هو إجراء يهدف الى ضبط تصرف المكلف ومنعه من تناول المباحإذا كان هذا التناول يفضي إلى مفسدة تلحق بعموم الناس او إلى تفويت مصلحة عامة.
- تقييد المباح سلطة تقديرية اجتهادية في يد الحاكم يلجأ إليها كلما دعت إلى ذلك الحاجة والضرورة.
- لتقييد المباح ضوابط يجب مراعاتها منعا للاعتداء على الحقوق والحريات، فليست

سلطة الحاكم في تقييد المباح مطلقة بل هي مقيدة .

- ثبت في السنة النبوية وأفعال الصحابة الكرام ما يدل على مشروعية الحجر الصحي المنزلي وعلى أحقية تدخل ولي الأمر لتقييد المباح جلبا للمصلحة ودرءا للمفسدة انطلاقا من قاعدة تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة.

- لا يمكن النظر إلى تدخل الدولة لفرض الحجر الصحي على أنه ضرب من التعدي على الحقوق والحريات أو حرمان لهم من حقهم في تعاطي المباحات المسموح بها شرعا وقانونا، ولكنه نوع من تقييد المباح بشكل مؤقت واستثنائي فرضته مصلحة حفظ النفوس من التلف، وهي مصلحة معتبرة شرعا وعقلا.

قائمة المصادروالمراجع

1. ابن كثير، إسماعيل. (2003) تفسير القرآن العظيم .د ط الجزائر: دار البصائر.
2. أحمد الشيخ الزرقا. (2007). شرح القواعد الفقهية (الإصدار ط1). دمشق: دار العلم.
3. أحمد خالد الطحان. نور الصباح في تقييد المباح. منشورات موقع الألوكة.
4. إيناس عبد المجيد الرشيد، 2020، فيروس كورونا، www. researchgate.net .
5. البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). الجامع الصحيح (ط1 بيروت: دار طوق النجاة.
6. البشير المكي عبد اللاوي. (2011). سلطة ولي الأمر في تقييد المباح (الإصدار ط1). بيروت. : دار مكتبة المعارف
7. الحسين الموس. (2014). تقييد المباح دراسة أصولية وتطبيقات فقهية (الإصدار ط1). بيروت: مركز نماء للبحوث.
8. العسقلاني، ابن حجر. ((1379هـ). فتح الباري (. د ط. بيروت: دار المعرفة.
9. النووي، محي الدين. ((1392هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ط2 بيروت دار إحياء التراث العربي.
10. جمال الدين ابن منظور. (2005). لسان العرب (الإصدار ط1). مصر: دار الكتاب.
11. زين العابدين ابن نجيم. (1999). الأشباه والنظائر (الإصدار ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
12. فتحي الدريني. (1984). الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده (الإصدار ط3). بيروت: مؤسسة الرسالة.
13. فتحي الدريني. (1987). خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم (الإصدار ط2). بيروت: مؤسسة الرسالة.
14. محمد أبو زهرة. (د ت). أصول الفقه (الإصدار دط). مصر: دار الفكر العربي.
15. مرسوم 20 - 70 المؤرخ في 24 مارس 2020، تكملة للوقاية من انتشار

الوباء (ج ر، العدد 16، الصادرة في 24 /3/ 2020).

16. مرسوم 20 - 72 المؤرخ في 28 مارس 2020، المتضمن تمديد الحجر الجزئي المنزلي إلى بعض الولايات (ج ر، العدد 17، الصادرة في 28/3/2020).

17. مرسوم 20-86 المؤرخ في 02/04/2020، المتضمن تمديد الأحكام المتعلقة بتدابير الوقاية من انتشار وباء كورونا (ج ر، العدد 19، الصادرة في 02/04/2020).

18. مرسوم 20-100 المؤرخ في 19/04/2020، المتضمن تجديد العمل بنظام الوقاية المتعلقة بانتشار وباء كورونا (ج ر، العدد 23، الصادرة في 19/04/2020).

19. مرسوم 20-102 المؤرخ في 23/04/2020، المتضمن تمديد الحجر الجزئي المنزلي وتعديل أوقاته (ج ر، العدد 24، الصادرة في 26 /04/2020).

20. مسلم. الجامع الصحيح. (الإصدار دط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

21. يوسف القرضاوي. (1989). السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها (الإصدار ط1). مصر: مكتبة وهبة.

قراءة في كتاب
« بذل الماعون في فضل الطاعون»

أ. سميرة مخالدي
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

- عنوان الكتاب الكامل: «بذل الماعون في فضل الطاعون»
- المؤلف: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852-773هـ)
- تحقيق: أحمد عصام عبد القادر الكاتب.
- ترجمة المؤلف:

هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الكناني - نسبة إلى قبيلة كنانة- العسقلاني - لأن أصله من عسقلان، وهي مدينة بساحل الشام من فلسطين - القاهري الشافعيّ، المعروف بـ(ابن حجر)[1].

ولد سنة ثَلَاث وَسبعين وَسَبْعمائة 773هـ، 1372م بمصر، ومات والده وهو حدث السن، فكفله زكي الدين الخروبي، وهو من كبار التجار، حفظ القرآن في سن التاسعة، وأجاد بسائط الفقه والنحو، ودرس مدة طويلة من الزمن على أعظم علماء عصره، من أمثال البلقيني، وابن الملقن، والعراقي، وعزّ الدين بن جماعة، والتنوخي، ومحبّ الدين بن هشام، والفيروز آبادي، والبرهان الأبناسي، ونور الدين الهيثمي، والخليلي، والأيكي، وابن سالم، والقلقشندي، وبدر الدين ابن مكي، وغيرهم.[2]

---

1 - أبو الفضل، ابن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1415 هـ، ج1/ص90

2 - ابن العماد العَكري الحنبلي(ت: 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود

حفظ الكثير من الأصول والمختصرات، منها: «عمدة الأحكام» لعبد الغني المقدسي، و«الحاوي الصغير» للقزويني، و «مختصر ابن الحاجب» في الأصول، وغيرها.. كما برع في الفقه والعربية، ونبغ في علم الحديث، وَتقدم فِي جَمِيع فنونه[3]، حتى قيل عنه إنه أمير المؤمنين في الحديث[4].

تزوّج من «أُنْس» ابنة القاضي كريم الدين بن عبد العزيز، ناظر الجيش[5]، وأنجب منها بناته الخمس: «زين خاتون»، و «فرحة»، و «عالية»، و«رابعة»، و «فاطمة»، وأنجب من جارية ابنه «محمد».

وقد فقد ثلاث بنات من بناته عندما حل الطاعون ببلاد المسلمين. توفي في الثامن والعشرين، أو التاسع عشر من شهر ذي الحجة من سنة 851 هـ، ودُفِن في القاهرة، ورثاه عدد من الشعراء.

• ثناء العلماء على ابن حجر:

أثنى عليه أشياخُه، ومعاصروه من أقرانه، وتلامذته، والأئمة الكبار من بعده. ومن ذلك:

قال السخاوي: «انتشرت مصنفاتُه في حياته وتهادتْها الملوك وكتبها الأكابر، وكان فصيح اللسان، راويةً للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرَّات ثم اعتزل»[6]

قال ابن العماد العَكري الحنبلي، (ت:1089هـ): «..وانتهت إليه معرفة الرجال واستحضارهم، ومعرفة العالي

الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط:1، 1406 هـ - 1986 م، ج/1، ص/74.

3- جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1، ص 552.

4 - دراسة موسعة عن الحافظ ابن حجر في كتاب موسوم « الحافظ بن حجر العسقلاني أمير المؤمنين في الحديث» للمؤلف عبد الستار الشيخ، وهو كتاب من سلسلة أعلام المسلمين، طبع بدمشق.

5 - ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، تح:د حسن حبشي، من نشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر:1389هـ، 1969م، ج:1، ص 394، 513

6 - الأعلام للزركلي (1/ 178).

والنازل، وعلل الحديث، وغيرذلك، وصار هو المعوّل عليه في هذا الشأن في سائر الأقطار، وقدوة الأمة، وعلّامة العلماء، وحجّة الأعلام، ومحيي السّنّة..»[7]

وقال ابنُ تغري بردي (ت: 874هـ): «وكان عفا الله عنه ذا شيبة نيرة ووقار وأُبَّهة ومهابة مع ما احتوى عليه من العقل والحلم والسكون والسياسة بالأحكام ومداراة الناس قبل أن يخاطب الناس بما يكره، بل كان يحسن لمن يسيء إليه، ويتجاوز عمن قدر عليه»[8].

• عنوان الكتاب:

ذكر محقق الكتاب أن اسم الكتاب ورد بعدّة عناوين في نسخ مخطوطة مختلفة، منها : «بذل الماعون في فضل الطاعون»، و«بذل الماعون في فوائد الطاعون»، و«بذل الماعون في فضائل الطاعون»،

ثم ذكر أن تدقيقه في نسخ البحث التي اعتمدها أوصله إلى أن ما ارتضاه الحافظ هو " بذل الماعون في فضل الطاعون"، وهو ما ذكره ابن حجر في مقدمته قائلا: " ..وسميته: بذل الماعون في فضل الطاعون"[9]

• سبب تأليف الكتاب:

أشار الحافظ ابن حجر إلى سبب تأليفه لهذا الكتاب في بداية المقدمة فقال: «فقد تكرر سؤال الإخوان – نفع الله بهم- في جمع الأخبار الواردة في الطاعون مع شرح غريبها، وتيسير معانيها على الأفهام وتقريبها، وتبيين أحكامها، وتحسين أقسامها، فأجبت رغبتهم في ذلك، واللهَ أسأل الإعانةَ في جمع المسالك».[10]

7 - ابن العماد العَكري، شذرات الذهب 1 /75.

8 - ابن تغري بردي الظاهري، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح: د. محمد محمد أمين، تقديم: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج/2، ص/23.

9 - العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون (ت 852-773هـ)، تح: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، (مقدمة المصنف)، ص 66

10 - المصدر نفسه، ص 65.

ورغم استجابته هذه، إلا أنه توقف عن الكتابة عام 819هـ، ثم استأنف تبييضه عام 833هـ، وكان أهم سبب دفعه إلى إتمامه هو الطرق والوسائل البدعية – بحسب وصف ابن حجر – التي لجأ إليها المصريون لرفع الوباء ودفع البلاء زمن «الطاعون الكبير» الذي وقع بالقاهرة سنة 833هـ، مع جهلهم بطرق انتقال المرض، مما ضاعف عدد الوفيات، وقد اتضح ذلك من قوله بعد ذكره لخروج الناس إلى الصحاري جماعة للدعاء بعد أن نودي بصيام ثلاثة أيام كما في الاستسقاء: « وهذا من الأسباب الحاملة لي على تبييض هذا الكتاب، بعد أن كنت جمعت منه أكثر الأحاديث وبعض الكلام عليها، في سنة تسع عشرة وثمان مائة (819) [11]

ويُرجع المحقق سبب توقفه عنه بعد أن جمع أكثر الأحاديث إلى وفاة ابنتيه «عالية»، و «فاطمة» في الطاعون الذي حدث سنة 819هـ، ووفاة ابنته الكبرى «زين خاتون» في طاعون سنة 833هـ، دون أن يجزم بذلك، بل احتمال أن لتلك الفاجعة أثرًا في تصنيف الكتاب في مرحلتين منفصلتين[12].

• قيمة الكتاب العلمية:

عرض كتابُ ابن حجر الرؤية الإسلامية للوباء الذي انتشر في مصر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة (833هـ)، والذي تعارف المؤرخون المسلمون على تسميته باسم «الطاعون الكبير».

كما جمع الكتاب بين الحقيقة المفجعة التي أودت بحياة الآلاف من المصريين آنذاك، وبين مشاعر ابن حجر التي ألمّت به في محنته ومصيبته، وقد تضمن العديد من المسائل المهمة التي تؤطر للفهم الإسلامي السُني لمرض الطاعون، مما جعل من هذا الكتاب مصنّفا فريدا للتعرف على وجهة نظر مسلمي ذلك العصر في هذا الوباء القاتل،

11- المرجع نفسه. ص44. (بتصرف)

12 - المرجع نفسه، ص 45.

وكان بمثابة المدوّنة الأكثر ذيوعا وشهرة، والتي تردّد ذكرها لدى المسلمين في أوقات الأوبئة والطواعين والمحن التي شهدتها البلاد الإسلامية في القرون الخالية.

ويدل على شهرة هذا الكتاب وأهميته كثرة اختصاراته من طرف جهابذة العلماء المسلمين، ومنها:

كتاب «ما رواه الواعون في أخبار الطاعون» من تأليف الشيخ العلاّمة جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة 911 هـ)، وهو اختصار لكتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني بذل الماعون في فضل الطاعون، صدر عن دار القلم بتحقيق الدكتور محمد علي الباز، ذكر فيه تاريخ أول وباء عالمي قبل الإسلام (541) ميلادية وأول طاعون في الإسلام[13].

ولخصه أيضا قاضي القضاة شرف الدّين أبوزكريا يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن مخلوف بن عبد السلام المناوي المصري الشافعي (المتوفى سنة 871 هـ).[14]

• موضوع الكتاب:

« بذل الماعون في فضل الطاعون» كتاب جمع فيه ابن حجر الأحاديث النبوية الواردة في الطاعون وشرحَ غريبها، وبيّن الأحكام الشرعية والفقهية المتعلقة به، حيث عرض الأقوال المختلفة المفسرة لوقوع الطواعين، مع نقل بعض الروايات الطبية المفسرة لذلك، وبيّن موقفه الذي جمع فيه بين التفسير الطبي والآثار النبوية ذات الطابع الغيبي لبيان أن لأصل الطاعون علاقة بطعن الجن للإنسان، حيث أورد مجموعة من الآثار والأذكار التي تحفظ قائلها من ذلك.

كما جمع بين الأحاديث النبوية ظاهرة التعارض في كون الطاعون شر وعقوبة وكونه شهادة ورحمة، ثم ذهب إلى إثبات الشهادة لضحايا الطاعون، وأورد أحاديث ومرويات تؤكد أنه رحمة.

13 - حاجي خليفة (المتوفى: 1067هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى – بغداد، نشر في 1941م، (ج/1، ص/237)

14 - المصدر نفسه ص /237.

إلا أن ما يستوقف القارئ هو ترجيح ابن حجر للرأي القائل بنفي العدوى، بعد أن عرض المسألة بالتفصيل وآراء الأئمة والعلماء فيها، لكنه في الوقت نفسه أورد أحاديث يفيد ظاهرها التعارض، وأتبعها بما أدلى به بعض العلماء في إزالة هذا التعارض بأن هذه الأمراض لا تعدي بطبعها، ولكن الله تبارك وتعالى جعل مخالطة المريض بها للصحيح سببا للعدوى، ثم قد يتخلف ذلك عن سببه كما في سائر الأسباب..»[15]

كما ذكر مسألة خروج الناس إلى الصحراء للدعاء برفع الطاعون، فما كان إلا أن تضاعف عدد الأموات بالقاهرة وصار فوق الألف في كل يوم، بعد أن كان عدد من يموت بها دون الأربعين، وهو ما يفسر ظاهرة العدوى وانتشار المرض بسبب الاجتماع في مكان واحد مع الجهل بطرق انتقاله[16].

فمن واجبنا كمسلمين ألا نلقي بأنفسنا إلى التهلكة، وأن نأخذ بالأسباب التي تحفظنا من الأمراض، وأن نتجنّب أسباب انتشار المرض، ونتبيّن من المختصين طرق انتشاره لتفادي تسبب جهلنا بها في العدوى، كما حدث في زمن الحافظ ابن حجر حينما خرج الناس إلى الصحاري جماعات للدعاء لرفع الوباء مع جهلهم بطرق انتقاله، فتسبب ذلك في وفاة أضعاف الأعداد التي كانت توفيت قبل ذلك.

• طريقة ابن حجر في كتابه:

استهل الحافظ ابن حجر العسقلاني كتابه بمقدمة بيّن في بدايتها عن السبب الذي دفعه تأليفه، ورتّبه في خمسة أبواب وخاتمة:

عرض في الباب الأول مبدأ الطاعون، وأنه رجز على الأمم السابقة ورحمة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وجعله أربعة فصول.

15 - العسقلاني، بذل الماعون، ص 292.

16 - العسقلاني، بذل الماعون، ص329..

وفي الباب الثاني عرّف بالطاعون مع بيان أنه غير مرادف للوباء لكونه أخص منه، إنما يُطلق عليه من باب المجاز، وذكر أحاديث تفيد أنه وخز الجن، مع ذكر الحكمة من ذلك، وفصّل القول في تسعة فصول.

وذكر في الباب الثالث الأدلة على كون الطاعون شهادة للمسلمين، وساق الأحاديث الواردة في ذلك، وفي عدم اختصاص الشهادة بالقتل في المعركة، كما تعرّض لمعنى الشهيد ومراتب الشهداء وشروط الشهادة، وأجاب عن إشكال كون الطاعون شهادة أو رحمة.

وفي الباب الرابع ذكر ما يتعلق بالطاعون من أحكام شرعية، كالخروج من البلد الذي يقع فيه أو دخوله، واختلاف العلماء في ذلك، وكل ذلك في أربعة فصول.

أما في الباب الخامس ففصّل الكلام في مسائل تتعلق بما يُشرع للناس فعله عند وقوع الطاعون كالدعاء والاجتماع له من عدمه، والآداب المتعلقة بمن أصيب به كالترغيب في حسن الظن بالله تعالى، وبيان أدب العبادة وفضلها، وصفة ما يدعو به العائد من الآثار القوية، واستتبع كل باب بفصل يشتمل على كشف ما فيه من مشكلٍ أو اسم.

وختم كتابه بخاتمة مقتضبة ضمّنها فصلا أشار فيه إلى الطواعين التي وقعت في الإسلام، ونبذة مما قيل في وصفها.

وباعتبار أن الغالب على الكتاب هو الصنعة الحديثية فقد استوعب ابن حجر طرق أحاديث الطاعون والكلام عليها، وسكت عن بعض الأحاديث مما وقع منها استطرادا، مع أن غالبها صحيح أو حسن، ويندر أن يسكت على خبر فيه ضعف ظاهر، وهو ما ذكره المحقق في مقدمته[17]

ومما جاء في مقدمة المصنّف: «وسقت الأحاديث محذوفة الأسانيد غالبا، لكن أنبه على من أخرجها من الأئمة، وعلى

17 - المصدر نفسه، ص 47.

حكمها من الصحة أوالحسن أو الضعف، ملخِّصا لبيان علّته تارة ومستوعبا أخرى. (18)

وما ساعده على تحري الدقة التي تميّز بها هو طول الفترة الزمنية بين الشروع بالكتابة والتي كانت سنة 819هـ وتبييضه سنة 833هـ، فاجتمع له كثير من الطرق التي لا يمكن الوقوف عليها في فترة قصيرة.

ومن خلال قراءة الكتاب، ودراسة أسلوب الحافظ ابن حجر وطريقته في كتابته، توصلت إلى بعض النتائج التي تلخّص جهده في كتابه وتعكس صورة من حياة الناس بمصر في الفترة التي انتشر فيها الوباء واشتدّ، وأودى بحياة الآلاف من المصريين، وأجملها في عدّة نقاط وأتبعها ببعض الاقتراحات:

• النتائج:

- عاش الإمام الحافظ ابن حجر فترة زمنية عُرفت بكثرة الطواعين، فصنّف كتابا متميّزا في الطاعون أسماه «بذل الماعون في فضل الطاعون»، جمع فيه الأحاديث النبوية الواردة في الطاعون وشرحَ غريبها، وبيّن ما تعلق به من شرائع وأحكام.
- عرف العالم الإسلامي تأليف العديد من الكتب حول الأوبئة والطواعين، إلا أن الأسئلة الجدلية بقيت تطرح حول طبيعته وأسبابه.
- رغم أن وفاة بنات ابن حجر كانت من أسباب تصنيفه للكتاب إلا أن الواضح من مقدمته أن الحاجة الشعبية الملحة للكتابة عن ذلك الوباء الفتاك كان أهم سبب لذلك.

18 - العسقلاني، بذل الماعون، ص 66.

- أشار ابن حجر في كتابه إلى الطواعين التي وقعت في الإسلام، ونبذة مما قيل في وصفها، وهذا دليل على أن الكثير من المؤلفين المسلمين القدامى كتبوا عن الطاعون لِما تركه من مآسٍ في البلدان الإسلامية على غرار ما وقع منه في بلدان الغرب.

• الاقتراحات:

- دعوة الباحثين والمختصين في علوم الطب والشرع والاجتماع إلى التكامل المعرفي لمواجهة هذه الأزمة العالمية، بالتوصيف الدقيق للأوبئة وطرق العدوى، بما يحث فئات الناس على الاستجابة للواقع الصحي دون تهوين أو تهويل.
- دعوة علماء الشريعة إلى الإلمام بفقه الأزمة لإحاطة حياة الناس بالتعاليم الشرعية في الظروف الاستثنائية، وبيان الأحكام الفقهية التي يجب العمل بمقتضاها عند وقوع الأزمات.

الإمام المقرئ أبو القاسم الهُذلي البَسْكَري
صلة علمية بين الغرب الإسلامي وشرقه

د . عبد الهادي لعقاب
كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر

مقدمة

لما كان القرآن شرفا يطلب، ومجدا ينشد، كانت الخيرية المطلقة في تعلُّمه وتعليمه، مصداقا لقول المصطفى . صلى الله عليه وسلم: **(خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)** (إسماعيل، 1997)، لذلك تصدى سلفنا الصالح وعلى رأسهم الصحابة رضوان الله عليهم لنقل القرآن كما تلقَّوْه من الحضرة النبوية الأفصحية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، كما نقله هو بدوره عن جبريل أمين الوحي عليه السلام . عن رب العزة جل جلاله. وكان نقل هذه الطريقة في الأداء بصفة دقيقة مأتمنة منذ العهد الأول من عظيم مظاهر حفظ الله تعالى لكتابه إذ قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر - 9 -.

واستمر هذا العمل وانتشر في الأصقاع والأقطار، وتواتر العلم به، كلٌّ يعلِّم بما روى، ويؤدي ما نقل، وتواتر علمُ القراءات واتصل، ونأى عن سائر العلوم وانفصل، وكثر طالبوه في كل الأصقاع، وتأسست مدارسه في شتى البقاع، ودونت مسائلُه المتشعبة، وذُللت قطوفُها في متون منجِبة.

وكان نصيب علماء الغرب الإسلامي من ذلك عظيما، إذ سعوا بكلِّ ما أمدّهم الله من عون وتوفيق في توطيد أركانه، وتصنيف مفرداته، وتشذيب فروعه، وتحرير مسائله، وتقريبه للناشئة،

واختصاره للطالبين، وبخاصة لما حل القرن الخامس الهجري فقد عرفت الأندلس والمغرب الكبير ومن ضمنه الجزائر حركة علمية نشيطة في التأليف في هذا الفن بالخصوص، فنبغ أمثال الإمام الحافظ أبي عمرو الداني (ت 444 هـ)، والإمام المحقق مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت 437 هـ)، والإمام المقرئ أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي (ت 429 هـ)، وغيرهم كثير تضيق بذكرهم السطور.

وكان من أقران هؤلاء، عالم حافظ كبير عُرف بالجمع والتنقيب، نشأ في حاضرة بسّكرة، وأكثر من الرحلة في طلب القراءة والرواية منذ فتوّته وريعان شبابه، وكان له الفضل بعد الله سبحانه في جمع القراءات، وحفظ الروايات، وألّف مصنَّفا جامعا شاملا في ذلك أسماه «الكامل في القراءات»، إنه الإمام: أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة البسكري الهذلي.

وإني أسعى في هذا المقال إلى ترجمته، مساهما بذلك في إبراز الاتصال الوثيق بين الشرق والغرب الإسلاميين في الحفاظ على الموروث القرائي، ونشر الرواية والدراية في القرآن وعلومه.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا صالحا، ولابتغاء مرضاته خالصا، وأن يجعله مدخرا محفوظا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إنه ولي التوفيق، والجدير بالتوفيق، له الفضل وحده، وبه الثقة سبحانه.

1 -العالم الإسلامي في عصر الهذلي:

1.1 الجزائر في عصر الهذلي:

عرفت الجزائر في بداية القرن الخامس الهجري منعرجا مهما في تاريخها، فقد انتقل دّعي الخلافة العبيدي إلى مصر بعد أن استلبها سنة 362 هـ، وترك إمرة إفريقية (تونس وشرق الجزائر ووسطها) بيد بُلُكّين بن زيري الصنهاجي، وبعد موت بُلُكّين تقلّد الحكم ابنه المنصور، وبعده

باديس بن المنصور. وكان أن انشق في عهد باديس عمُّه حمّادُ بنُ بلُكّين وأعلن انفصاله عن دولة العبيديّين الروافض، ورفض التشيُّع ودعا للخلافة العباسية ببغداد، وأسس الدولة الحمّادية عام 405 هـ، وكانت عاصمتها القلعة بولاية المسيلة شرق الجزائر العاصمة، ثم تحولت في عهد الناصر بن علنّاس إلى بجاية. وكانت دولة بني حمّاد تمتد من ولاية الجزائر إلى حدود ولاية عنابة اليوم، وتمتد جنوبا إلى حدود ولاية ورقلة لتحوز مساحة مهمة من الصحراء الجزائرية. ودام ملك الحمّاديين مائة واثنتين وأربعين سنة حيث سقطت الدولة على أيدي الموحدين عام 547هـ.

وكانت الجزائر في عهد الحمّاديين ترفل في أبهى عصورها ثقافةً وحضارةً وعمرانا، فكانت المدارس والمعاهد العلمية والمساجد حافلة بدروس العلم والمجالس العلمية، وبخاصة في عاصمتها بجاية، حيث ازدحم على معاهدها الكثير من العلماء والحكماء والأطبّاء والشعراء، وأَمَّها جلَّة علماء الأندلس ومصر والشام والحجاز والعراق وحتى العجم الأوربيين. وكثُرت فيها المصانع والمعامل، والقصورُ البديعة، والبناءات الضخمة، والدور المُرَوْنقة، ما جعلها قدوة لغيرها في التمصير والتمدين.

وقد عرف عهد الحمّاديين بكثرة الاضطرابات والانقلابات السياسية، وكان لزحف الهلاليين الذين أرسلهم العبيديون لتأديب المنشقِّين عنهم في المغرب تأثير بالغ على استقرار البلاد، وكان ينافسهم في الشرق بنو عمومتهم بنو زيري الصنهاجيّون، وكانت قبائلُ زناتة ودولةُ المرابطين تتربص بهم من جهة الغرب، إلى أن كان زوالُها على أيدي الموحّدين (الجيلالي، 2010).

2.1 المشرق الإسلامي في عصر الهذلي:

أما في المشرق فقد كانت بداية القرن الخامس الهجري تشهد آخر العصر

الثالث للدولة العباسية، أين كانت الدولة تحت سيطرة البويهيين الذين دخلوا بغداد سنة 334هـ وسيطروا على الخلافة العباسية. وبنو بويه عائلة من أصول فارسية اعتنقت المذهب الشيعي الزيدي ونشرته ودعّمته (الأثير أ.، 1425). وكان سقوط معسكر البويهيين على يد السلاجقة السُّنّيين عام 447هـ، واستعادت الخلافة العباسية في عهد السلاجقة شيئا من هيبتها وبخاصة في عهد الملك ألب أرسلان الذي تقلد الملك سنة 456هـ، واستوزر الوزير الصالح نظام الملك الطوسي الذي سعى إلى نشر الاستقرار وتشجيع العلم والعلماء (الصلابي، 1427).

2 - حياته الشخصية:

1.2 نسبه:

هو الإمام المقرئ اللغويُّ الأديب المتكلم الراوية الجوّال الرّحّال، الأستاذ الكبير والعلَم الشهير: يوسفُ بنُ عليِّ بن جُبَارة بنِ محمد بنِ عُقَيْل بنِ سَوادة بن مَكناس الهُذَليُّ البَسْكَريّ.

يرجع نسبَه إلى أبي ذؤيب الهُذليّ الشاعر المعروف (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000)، صاحب العِينيّة التي رثى فيها أبناءَه الأربعة، والتي فيها:

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تنفع

وأبو ذؤيب هو خويلد بنُ خالد الهذلي الشاعر المخضرم، أَدركَ الجاهليَّةَ، وأسلم بعد موت النبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم وكان أشعرَ هُذيْلٍ، وَهُذَيْل أشعرُ العرب.

وكان ضمن الفاتحين الذين دخلوا إفريقية في جندِ عبدِ الله بنِ سعد بنِ أبي سَرْح في إمرة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فمات ودفن هنالك (الأثير أ.، 1425).

والهُذلي: نسبه إلى قبيلة هذيل، وهي قبيلة عربية حجازية، وتنسب إلى هذيل

بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (السمعاني، 1382).

والبَسْكري: نسبة إلى بِسْكَرة: بكسر الباء وفتح الكاف وتسكين السين بينهما (ماكولا، 1990) (السمعاني، 1382)، أوبَسْكَرة: بفتح الباء والكاف وتسكين السين، أوبِسْكِرة: بكسر الباء والكاف وإسكان السين (ماكولا، 1990) (الأثير أ.، 0000)، ودرج الناس في الجزائر على ضبطها بفتح الباء وتشديد السين مفتوحة وإسكان الكاف: بَسَّكْرة، مدينة تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من الجزائر العاصمة، وتبعد عنها قرابة 400 كم، مشهورة بجمال طبيعتها، ورَوعةِ مُناخها، وجَودةِ تمرها.

قال ابن خلدون: «بسكرة: من كبار الأمصار بالمغرب، وتشتمل كلُّها على النخيل والأنهارِ والفدُن والقرى والمزارع» (خلدون، 1408).

وقال القلقشندي في صبح الأعشى: «وهي قاعدةُ بلادِ الزّاب، ولها بلاد ذات نخيل وفواكه وزروع كثيرة، ومنها يجلب الثمر الطيّب إلى تونس وبجاية» (القلقشندي، 0000).

وزاد بعض المترجمين للهذلي نسبة "المغربيّ"، وهي نسبة إلى بلاد المغرب، وكانت تطلق قديما على جملة بلدان الشمال الإفريقي (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجيلالي، 2010) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000) (الجزري، النشر في القراءات العشر، 0000).

وأضاف بعضُهم نسبةَ "الأندلسيّ" (بشكوال، 1394) (الزركشي، 1376)، ولا نعرِف أحدا ممن ترجم له أثبتَ دخولَه إلى الأندلس.

ووصف في بعض كتب التراجم بـ «الضّرير» (الحموي، معجم الأدباء، 1414) (الزركلي، 2002) (كحالة، 0000)، قال الذهبي: «وذكره عبد الغافر الفارسي ونعته بأنه ضرير، فكأنه عمي في أواخر عمره» (الذهبي، معرفة القراء

الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

2. 2 كنيتُه:

يُكْنى "أبا القاسم" في جلّ المصادر، وانفرد ابنُ بشكوال في الصِّلة فكنّاه "بأبي الحجَّاج" (بشكوال، 1394).

3.2 مولده:

ولد الإمام أبو القاسم الهذلي في رمضان من عام ثلاث وأربعمائة (403 هـ) في بسكرة، وقد صرّح بذلك لتلميذه عبد الله بن أحمد السمرقندي حين سأله عن تاريخ ولادته فأجاب: «في رمضان سنة ثلاث وأربعمائة» (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000).

4.2 وفاته:

توفي الإمام أبو القاسم بعد رحلة حافلة في طلب الرواية، وجمع الأسانيد، والتأليف والتعليم في مدينة نيسابور التي فرغ بها من رحلتِه، وأفرغ فيها ما في جعبتِه، وتفرّغ للتعليم في المدرسة النظامية منذ سنة 458 هـ إلى حين وفاتِه. وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ سنة 465 هـ.

3 -نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الإمام أبو القاسم في بلدته بسكرة أين ولد وترعرع واشتد سوقه واستوى، وأخذ مبادئ العلوم عن مشيخة بلده (الجيلالي، 2010)، وكانت بسكرة آنذاك عامرة بالعلماء، يقول ياقوت الحموي في حقّها: «وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة» (الحموي، معجم البلدان، 1995). وليس لدينا ما نقدمه لبيان حاله في تلك الفترة، فلم نجد أحدا ممن ترجم له تكلم عن فترة شبابه الأولى قبل أن يشرع في الرحلة إلى المشرق، أو عرض وصفا لأسرته، أو شيئا من أخبار صباه.

غير أن الثابت المذكور أنه خرج من بسكرةَ طالبا للعلم سنة خمسٍ وعشرين وأربعِمائة (425 هـ) (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000)، وقد تجاوز الثانيةَ والعشرين من عُمُره،

مستأنِفا بذلك رحلةً عظيمةً خلّدته في كتُب التاريخ.

يقول الإمام الزركشي: « ورحل.. فأبعد في الشُّقّة وجمع بين طريق المشرق والمغرب .. ولمْ أرَ ولمْ أَسمعْ أَوسعَ رِحلةً منهُ ولا أكثرَ شُيوخًا» (الزركشي، 1376).

وقال الحافظ الذهبي: «المقرئُ الجوّال، أحد من طوّف الدنيا في طلب القراءات» (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000).

وقال عنه الإمام ابن الجزري: «الأستاذ الكبير الرَّحَّال، والعَلَم الشهير الجوَّال ... طاف البلاد في طلب القراءات، فلا أعلم أحداً في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته، ولا لقي من لقي من الشيوخ» (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

1.3 رحلات الإمام الهذلي العلمية:

علمنا أن الإمام أبا القاسم الهذلي خرج من بسكرة عام 425 هـ طالبا للعلم والرواية، متجها إلى المشرق، فشرع في رحلته العلمية الشاقة العامرة بالخير، وبدأ بإفريقية (تونس) ودخل مدينة القيروان، أين كانت حاضرة للعلم يؤمّها الطلبة من كل مكان قبلَ أن ينكبها الهلاليون، ثم دخل مصر، ثم الحجاز، ثم الشام، وصرح بدخوله دمشق عام 426 هـ، وصرح برحلته إلى العراق عام 427هـ، ثم رحل إلى كرمان سنة 430هـ، ثم أصبهان، ثم إلى خراسان، ثم إلى بلاد ما وراء النهر، إلى إقليم الترك، حتى انتهى به المطاف وحطّ عصا التَّسيار في نيسابور سنة 458 هـ.

وإنما ذكرتُ هنا أشهر المدن والأمصار الإسلامية آنذاك، وإلا فقد دخل مدنا أخرى كثيرة، قال الحافظ ابن حجر: "قرأ عليهم ببلادٍ متعدِّدةٍ تزيدُ على الخمسين من المغربِ إلى سَمَرْقَند" (العسقلاني، لسان الميزان، 0000).

وقد عُدّت المدن التي ذكرها في كتابه الكامل فبلغت ثلاثا وخمسين مدينة.

وقد تحدّث عن نفسه . رحمه الله . فقال: "فجملةُ من لقِيتُ في هذا العلم: ثلاث مئة وخمسة وستون شيخاً، مِن آخر المغرب إلى باب فرغانة، يمينا وشمالا وجبلا وبحرا، ولو علمتُ أحدا تقدم عليَّ في هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدتُه" (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

ولم يثبت عنه أنه دخل المغرب الأقصى، أو أنه رحل إلى الأندلس وأخذ عن شيوخها، فقد يكون المعنى في قوله: «من آخر المغرِب» حد دولته، دولة بني حمّاد، التي كان يدين بالولاء لها.

وكانت للإمام أبي القاسم الهذلي همَّةٌ قعساءُ فارعة تلامس الثريَّا، وعزيمةٌ مضَّاء لامعة تلوح في المُحيَّا، فلا يفتأ يدخل مدينة من المدن التي يمر بها إلا ويزاحم بالركب، ويسعى سعيا حثيثا لجمع ما رغب من الروايات المشهورة والشاذة، فجمع عددا هائلا من الشيوخ، حتى بزّ أقرانه في ذلك، وذاع صيته في جميع البلاد.

وزاد بأن برز رحمه الله في علم النحو والفقه والكلام، بجانب الرواية والدراية في علم القراءات، فكان يدرّس النحو، ويناقش في الفقه وعلم الكلام، يقول الأمير ابن ماكولا: «وكان يدرّس النحو ويفهم الكلامَ والفقهَ» (ماكولا، 1990) (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000)، «وكان مقدَّما في علوم اللغة وعلل القراءات وله ترجيحاتٌ واختياراتٌ وآراءُ فيها خاصة» (الجيلالي، 2010).

ولما انتشر أمره، واستشرى خيره، سمع به الوزير الألمعيُّ البارع، نظام الملك الطوسي فاستدعاه سنة ثمان وخمسين وأربعمائة (458 هـ) للتدريس في إحدى مدارسه التي حملت اسمه في مدينة نيسابور، ورسّمه أستاذا بها، فمكث فيها

إلى حين وفاته . رحمه الله (الصرفيني، 1414) (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000) (الجيلالي، 2010).

ومع ذلك لم يكن يتوقف رحمه الله عن البحث والتنقيب والجلوس إلى العلماء والاستفادة منهم، وقد جاوز الخامسة والخمسين من عمره، فكان يحضر في حين مقامه بنيسابور دروسَ الإمام أبي القاسم القشيريّ المفسِّر الأصولي، وقرأ عليه الأصول والفقه. وقد علم الإمام القشيريُّ قدر الشيخ، ولمس علوَّ كَعبِه ورسوخَ قَدمِه في العلم والرواية، فكان يراجعه في مسائل النحو والقراءات ويستفيد منه (الصرفيني، 1414) (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

وكان من شدة اهتمامِ الإمام الهذليّ في الجمع والتحرّي سعيُه إلى نيل علوِّ السند في الرواية، فمن ذلك ما ذكره عن نفسه فقال: «قرأتُ على الشيرازي على أبي علي الحسن بن إبراهيم الأهوازي... قال: ثم أدركتُ الأهوازيَّ بدمشق فقرأتُ عليه سنة ستٍّ وعشرين وأربعمائة».

وحدّث أيضا عن نفسه فقال: «قرأتُ على أبي العباس أحمدَ بنِ علي بن هاشم، قال: قرأتُ على أبي العلاء أحمدَ بنِ يعقوب الصلحي»، ثم قال الهذلي: «وأدركتُ أبا العلاء ببغداد بدرب السلولي حين قدمتُ من مصر فقرأتُ عليه» (الهندي، 1427).

وهذا مثال نادر لهِمَّة عالية لا يملكها إلا أرباب الحِجى. قال الإمام ابن الجزريّ معلِّقا: «كذا ترى همم السادات في الطلب» (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

وكان بجانب الحرص على الرواية والرحلة إلى المشايخ واسعَ الاطلاع، جمّاعا للكتب، سهلَ التأليف، جليلَ الكتابة،

ذَكرَ في موضع في كتابه الكامل كتبا كثيرة أُلّفت في الإمالة متنوعة المصادر، قال إثرها: «ومن كل واحد عندي تصنيف له فيها» (الهندي، 1427).

وقال عن كتابه (الكامل): «وألَّفتُ هذا الكتاب فجعلتُه جامعا للطرق المتلُوَّة والقراءات المعروفة، ونسختُ به مصنَّفاتي كالوجيز والهادي» (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000). بمعنى: أنه ألَّف كتابه الكامل وبث فيه خلاصة ما جمعه من علم القراءات، فكان ماحيا مزيلا لكل ما ألَّفه من قبل.

2.3 شيوخُه:

صار الإمام أبو القاسم الهذلي مضرب المثل في كثرة شيوخه الذين رحل إليهم وأخذ عنهم، فلم يعرف له مثيلا في عدد شيوخه وأساتيذه.

يُعلم هذا بصريح عبارة الحفّاظ الذين ترجموا له، وأكّدوا ذلك بما يزيل الشك والريب، فهذا الإمام الحافظ الذهبي يؤكد فيقول:

"أحد الجوَّالين في الدُّنيا في طلب القراءات، لَا أعلم أحدًا رحل في طلب القراءات بل ولا الحديث أوسع من رحلته، فإنَّهُ رحل من أقصى المغرب إلى أن انتهى إلى مدينة فَرْغَانة، وهي من بلاد التُّرك. وذَكر أنَّهُ لقِي في هذا الشأن ثلاثمائة وخمسة وستين شيخاً" (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، 2003).

«وقد ذَكر في كتاب الكامل أسماء الشيوخ الذين تلا عليهم، وعِدَّتُهم مائة واثنان وعشرون شيخا، وهذا شيء لم يتهيأ لأحد قبله ولا بعده فيما علمت» (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، 2003) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000). وقد ذكرهم الذهبي وابن الجزري، وقال الذهبي إثر ذلك:

«إنما ذكرتُ شيوخَه وإن كان أكثرُهم مجهولين لتَعلَم كيف كانت همّةُ الفضلاء في طلبِ العلم» (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000).

ولن أفيض في ذكر شيوخه لأن المحلّ لا يُسعِف، والمقامُ مقام اختصار، وإنما أذكر منهم من اشتهر وهم مع ذلك وفرة، وأنتخب منهم ثلة وهم كثرة (الهندي، 1427).

- الإمام المقرئ أبو العباس أحمدُ بن سعيد بن أحمد المعروف بابن نَفيس الطرابلسي الأصل ثم المصري، إمام ثقة كبير، انتهى إليه علوُّ الإسناد ورئاسة الإقراء، قرأ على أبي أحمد عبد الله بن الحسين السامريّ، وعبد المنعم بن غلبون، قرأ عليه يوسفُ بنُ جبارة الهذلي بمصر، وابنُ الفحام الصقلي، وابنُ بلّيمة، وأبو معشر عبد الكريم الطبري وآخرون، وعمّر حتى توفي وهو في عُشر المائة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).
- أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، أبو نعيم الأصبهاني الحافظ صاحب التصانيف، روى القراءة سماعا عن سليمان بن أحمد الطبراني، روى عنه أبو القاسم الهذلي اختيارَ أبي عبيد القاسم بن سلّام سماعا بأصفهان، وحدّث عنه. توفي سنة 430هـ (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000) (ماكولا، 1990).
- أبو العباس أحمد بن علي بن هاشم، المعروف بتاج الأئمة المصري، شيخٌ حافظٌ أستاذ، قرأ على عمر بن عراك، وعبدِ المنعم بن غلبون، أقرأ الناس دهرا طويلا، وهو من

كبار شيوخ الإمام الهذلي، أخذ عنه القراءات وحدّث عنه، توفي سنة 445 هـ (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

- الإمام المقرئ الأستاذ أبو علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المالكي البغدادي، صاحب كتاب (الروضة في القراءات الإحدى عشرة). قرأ على أبي أحمد الفرضي، وأحمد بن عبد الله السوسنجردي. سكن مصر وصار شيخ القراء بها. قرأ عليه الهذلي بمصر سنة 433 هـ، توفي سنة 438 هـ (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).
- الإمام المقرئ أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي العجلي، شيخ الإسلام الثقة الورع، صاحب التصانيف الكثيرة، قرأ على أبي الحسن الحمامي، وبكر بن شاذان، وطاهر بن غلبون، قرأ عليه الهذلي بالروايات في شيراز، توفي سنة 454 هـ (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).
- الإمام المقرئ محمد بن الحسين بن محمد بن آذر بهرام أبو عبد الله الكارزيني الفارسي، أستاذ جليل، انفرد بعلوّ الإسناد في وقته، أخذ القراءات عرضاً عن الحسن بن سعيد المطّوعي، وهو آخر من قرأ عليه في الدنيا، وقرأ على أحمدَ بنِ نصر الشذّائي، قال الذهبي: سألتُ الإمام أبا حيان عنه فكتب إليّ: «هو إمامٌ مشهور لا يُسأل عن مثلِه». صرّح الهذلي بالقراءة عليه بمصر. قال الذهبي: «لا أعلم متى توفي إلا أنه كان حياً في سنة أربعين وأربعمائة» (الذهبي، معرفة القراء

الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

- الإمام المقرئ المحدّث أبو العلاء محمد بن علي بن أحمد بن يعقوب الواسطي القاضي نزيل بغداد، إمام محقق وأستاذ متقن، صرّح الهذلي بالقراءة عليه فقال: «وأدركت أبا العلاء ببغداد بدرب السلولي حين قدمت من مصر، فقرأت عليه رواية أبي بكر بن عياش سنة سبع وعشرين وأربعمائة» (الهندي، 1427)، توفي سنة 431 هـ (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

- الإمام الزاهد الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي الصوفي، صاحب «الرسالة القشيرية» في التصوف، أحد الأئمة الأعلام، ومشائخ الإسلام الكبار، كان بارعا في شتى الفنون، أصوليا مفسرا متكلما، شافعيا في الفروع، حضر الهذلي مجالسه في الأصول والفقه. توفي سنة 465 هـ (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 1427) (السبكي، 1413).

وغير هؤلاء كثير يصعب حصرهم، ويضيق المكان بذكرهم.

3.3 تلاميذه:

جلس الإمام أبو القاسم الهذلي للتدريس والإقراء بعد عمر حافل من التحصيل العلمي جابه في أقطار العالم الإسلامي شرقا وغربا، وانتهت به الرحلة إلى مدينة نيسابور سنة 458 هـ أين عيّنه الوزير نظام الملك مدرسا في مدرسته النظامية، فبقي بها إلى حين وفاته. ولما كان صيته ذائعا، وأمره شائعا، أقبل عليه الطلاب من كل حدب وصوب، يعبّون منه ما جمع، ويستفيدون بما

حصّل، ويقرؤون عليه بمضمن كتابه الكامل وأزيد، وكان منهم:

- الإمام المقرئ الكبير أبو العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسي الواسطي، شيخ العراق ومقرئ القراء بواسط، أستاذ جليل، صاحب التصانيف في القراءات، رحل إلى بغداد وقرأ على الهذلي كتابه الكامل، وهو أشهر تلاميذه. من مؤلفاته «إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي»، و«كفاية المبتدي وتذكرة المنتهي». توفي بواسط سنة 521 هـ (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).
- المقرئ أبو علي سهل بن محمد بن أحمد بن الحسين بن طاهر الأصبهاني الحاجّيّ، أستاذ ماهر صالح، له كتاب (مفاريد العشرة بعللها)، روى القراءة عن أبي القاسم الهذلي، قال ابن الجزري: «وهو آخر من روى عن الهذلي»، مات سنة 543 هـ (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).
- الإمام المقرئ أبو المظَفَّر عبد الواحد بنُ حَمْد بن محمد بن شِيذَهْ السكري الأصبهاني، روى كتاب (الكامل) عن الهذلي. توفي سنة 524 هـ (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

4.3 ثناء العلماء عليه:

اكتسب الإمام أبو القاسم الهذليُّ شهرةً واسعة لطول رحلته، وكثرةِ شيوخه، ووفرةِ مروياته، ومُكنة عِلمه، وجليلِ كتبه، جعلته قبلة طلابه، ومقصد مريديه، وأطلقت يراع العلماء المترجمين بالثناء عليه، وقد مر بنا شذرات من ذلك، فمنها:

- قال الإمام تقي الدين الصرفيني: "أبو القاسم الإمام المقرىء الضرير من وجوه القرّاء ورؤوس الأفاضل عالم بالقراءات كثير الروايات" (الصرفيني، 1414).
- وقال ياقوت الحموي: «المقرئ النحوي، كان عالما بالقراءات والعربية، قرأ على المشايخ بأصبهان وطوّف البلاد في طلب القراءات» (الحموي، معجم الأدباء، 1414).
- وقال الإمام الذهبي: "أحد الجوّالين في الدنيا في طلب القراءات، لا أعلم أحد رحل في طلب القراءات بل ولا الحديث أوسع من رحلته" (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، 2003).
- ونقل عن عبد الغفار الفارسي قولَه: «من وجوه القراء ورؤوس الأفاضل، عالم بالقراءات. بعثه نظام الملك ليعقد في المدرسة للإقراء، فقعد سنين وأفاد، وكان مقدماً في النحو والصرف، عارفاً بالعلل ... وكان أبو القاسم القشيري يراجعه في مسائل النحو ويستفيد منه» (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، 2003).
- وقال ابن الجزري: «الأستاذ الكبير الرحال والعلم الشهير الجوال ... وطاف البلاد في طلب القراءات فلا أعلم أحداً في هذه الأمة رحل في القراءات -رحلته ولا لقي من لقي من الشيوخ» (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).
- وقال عند الكلام عن كتابه (الكامل): «تأليف الإمام الأستاذ الناقل أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي» (الجزري، النشر في القراءات العشر، 0000).
- وقال الإمام بدر الدين الزركشي: «ورحل أيضا أبو القاسم يوسف

بن جبارة الأندلسي فأبعد في الشقة وجمع بين طريق المشرق والمغرب وصنف كتاب الكامل يحتوى على القراءات السبع وغيرها ولم أر ولم أسمع أوسع رحلة منه ولا أكثر شيوخا» (الزركشي، 1376).

4 - كتاب الكامل وموقعه بين كتب القراءات:

1.4 مصنفات الإمام الهذلي:

لم يعرف عن الإمام أبي القاسم الهذلي . رحمه الله . كثرةُ تأليفٍ، كما كان حال العلماء في عصره، وإنما ثبت أنه ألّف خمس كتب في القراءات وعلوم القرآن، ضاع أربعة منها، وسلم واحد واشتهر، وصار علما على الهذلي، فلا يذكر إلا ويذكر معه، ألا وهو كتاب "الكامل في القراءات الخمسين".

ومصنفاته المفقودة هي:

- الوجيز في القراءات.
- الهادي في القراءات.
- درة الوقوف.
- الجامع للوقف والابتداء.

والذي يظهر أن كتاب «الكامل» كان آخر كتب الإمام الهذلي تأليفا، فقد أودع فيه جملة مروياته، وزبدة اختياراته، ويزيد هذا تأكيدا ما نقله الذهبي وابن الجزري عنه: «وألَّفتُ هذا الكتابَ (يعني الكامل) فجعلتُه جامعا للطرُق المتلوّة، والقراءاتِ المعروفة، ونسختُ به مصنَّفاتي كالوجيز والهادي وغيرِهما» (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000) (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000) (الهذلي، 1428). ومعنى نسختُ: أزلتُ ومحوتُ.

أما كتابَا (دُرّة الوقوف)، و(جامع الوقف والابتداء)، فقد ذكرَهما في كتابه «الكامل» وأحال إليهما بعد أن ذكر مسائل في الوقف والابتداء، ما دل على أنه ألّفهما قبل كتاب «الكامل»، قال

رحمه الله: «لأنه ما من عالم إلا قد صنف في الوقف والابتداء كنافع، ونصير، والعباس بن الفضل الرَّازِيّ، وابن عيسى، وأبي حاتم، والأنباري، والزَّعْفَرَانِيّ، والْأَخْفَش، وابن مهران، والعراقي، وأنا في غير هذا الكتاب. فمن أراد ذلك فليتأمّل درة الوقوف والجامع، وبينتُ فيه وقفَ الفقهاء، والصوفية، والمتكلمين، والقرّاء، وأهل المعاني» (الهذلي، 1428) (الهندي، 1427).

2.4 القيمة العلمية لكتاب الكامل في القراءات:

عُرف الإمام الهذلي بكتابه "الكامل في القراءات الخمسين" الذي استطير شهرة، وذاع ذيوعا فاشيا، وصار كل من جاء بعده ممن ألف في القراءات يعتمد عليه، إذ حوى علما غزيرا، وطرُقا عزيزة، وتحقيقا في مسائل علم القراءات والتجويد، ونقولا مسندة في بعض علوم القرآن.

أودع الإمام الهذلي خلاصة ما رواه في رحلاته، وزبدة ما جمعه من مشايخه وأساتذته، وقدم بين يديه بالكلام عن علوم تحوط بعلم القراءت كلاءةً، وتحيط به كلالةً، حتى يتم النفع للطالبين، ويحصل الغرض للمقرئين، فصدر كتابه بالكلام عن فضائل القرآن والمقرئين، وبيان مذهبه في معنى الأحرف السبعة، والكلام عن عدّ الآي، وعلم التجويد، والوقف والابتداء. ثم نثر الأصول المطّردة لعلم القراءات، ثم شرع يذكر قراءات الأئمة وهم كُثر، فذكر قراءات الأئمة العشرة المشهورين، وأضاف إليهم قراءات أربعين إماما مع اختيارات أخرى.

وتتجلى أهمية هذا الكتاب أن مؤلّفه - رحمه الله- جمع قراءاتِ أئمةٍ كثيرين فوق قراءاتِ الأئمة المشهورين، وزاد بأن شهّر باختياره فيه، قال رحمه الله: "هذا ما انتهى إلينا من السبعةِ ورجالِها، والاختياراتِ التي اختارها علماءُ الأمصار، ثم اتّبعتُ أثرَهم فاخترتُ اختيارًا وافقتُ

عليه السلف بعد نظري في العربية والفقه والكلام والقراءات والتفاسير والسنن والمعاني، أرجو أن ينفع بعون اللّه وتوفيقه" (الهذلي، 1428) (الهندي، 1427).

وقد أقبل العلماء والقرّاء على رواية كتاب (الكامل)، بل صار مستند من جاء بعده من العلماء في كتاباتهم وتحريراتهم، ويكفيه قيمةً شهادةُ المحقِّقين له أمثال الإمام ابنِ الجزري إذ يقول: «قرأ بالكامل إمامُ زمانه حفظاً ونقلاً أبو العلاء الهمذاني على أبي العزّ ولا زال يقرئ به إلى آخِر وقت» (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 0000).

وكان في تأليف ابن الجزري لكتابيه (النشر في القراءات العشر)، و(غاية النهاية في طبقات القراء) الاعتمادُ البالغ على هذا الكتاب، فلا تكاد تخلو صحيفة من صحائف هذين الكتابين من ذكر أو إحالة أو عزو إلى كتاب (الكامل) للإمام الهذلي.

ومما يدل على اهتمام العلماء به وصولُه إلى بلاد الأندلس إجازةً ورواية، قال الإمام ابن بشكوال: «وكتب إلينا بإجازة هذا الكتاب القاضي أبو المظفر الطبري من مكة يخبرنا به عن أبي العز محمد بن الحسين المقرئ من مؤلّفه» (بشكوال، 1394).

ونقل منه الإمام أبو حيان الأندلسي في تفسيره (البحر المحيط) في مواضع عديدة (الأندلسي، 1420).

وكان من مرويّات الإمام الحافظ المحدّث ابن حجر العسقلاني، فقد ذكره في كتابه (تجريد الأسانيد) (العسقلاني، 10. تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، 1418).

وكان من المراجع الأساسية في القراءات للحافظ السيوطي في كتابه (الإتقان) (السيوطي، 1394) كما صرّح به في مقدمته.

إلا أن الهذلي رحمه الله جمع في مؤلَّفه جمهرةً من القراءات والأسانيد التي تكلّم عنها العلماء بالرد والنقض، وزادوا بأن تكلّموا في اختياره.

قال الإمام الذهبي: «وله أغاليط كثيرة في أسانيد القراءات، وحشدَ في كتابه أشياءَ منكرةً لا تحلُّ القراءةُ بها، ولا يصحُّ لها إسناد» (الذهبي، معرفة القراء الكبار، 0000).

وقال الإمام ابن الجزري: «وألّف كتابه (الكامل) الذي جمع فيه بين الذُّرَّة، وأُذُن الجَرَّة من صحيح، وشاذٍّ، ومشهورٍ، ومُنكَر» (الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، 1999).

وورد في كتاب (الدر المصون) للسّمين الحلبي ما نصه:

«قوله: {فَاسْتَغَاثَهُ} هذه قراءةُ العامَّةِ، من الغَوْثِ أي: طَلَبَ غَوْثَه ونَصْرَه. وقرأ سيبويه وابنُ مِقسم والزعفرانيُّ بالعين المهملة والنون، من الإعانة. قال ابنُ عطية: هي تصحيفٌ. وقال ابنُ جُبارة صاحب (الكامل): الاختيارُ قراءةُ ابنِ مقسم؛ لأنَّ الإعانة أولى في هذا البابِ. قلتُ أي السمين الحلبي : نسبةُ التصحيفِ إلى هؤلاء غيرُ محمودةٍ، كما أن تَعالِيَ الهُذَلِيِّ في اختيارِ الشاذِّ غيرُ محمودٍ» (الحلبي، 0000).

خاتمة:

يظهر من هذا العرْض بوضوح أفقُ التواصل المعرِفيّ الذي كان مترابطا بين البلاد الإسلامية شرقِها وغربها، وأن الإمامَ أبا القاسم الهذلي لما بنى أصولَه في بلدِه مضى يستزيد من العلم في كل مصرٍ يدخلُه، وفي كل محلٍّ يطرقُه، حتى اشتد في العلم عودُه، وبزَّ أقرانَه، فأفاد واستفاد. كما نلمح جليًّا قيمةَ الرحلة في طلبِ العلم، وأن الإمامَ الهذليَّ لو بقي في بلدِه لكان خاملَ الذكر، مقعَداً عن الوصول إلى ما وصل إليه بالخروج من بلده، فرحمه الله رحمة واسعة، وأثابه عمَّا قدَّم خيرما أثاب عالما عن أمته.

قائمة المصادروالمراجع:

1. البخاري، محمد بن إسماعيل. (1997). الجامع الصحيح. الرياض: دار السلام للنشروالتوزيع.
2. عبد الرحمن الجيلالي. (2010). تاريخ الجزائر العام. الجزائر: دار الأمة.
3. علي محمد الصلابي. (1427). دولة السلاجقة. القاهرة: دار اقرأ.
4. شمس الدين الذهبي. (0000). معرفة القراء الكبار. تركيا: جامعة الإلهيات، إسطنبول.
5. السمعاني. (1382). الأنساب. حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية.
6. ابن خلدون. (1408). المقدمة. بيروت: دار الفكر.
7. القلقشندي. (0000). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. بيروت: دار الكتب العلمية.
8. ابن الجزري. (0000). غاية النهاية في طبقات القراء. القاهرة: دار ابن تيمية.

9. ابن الجزري. (0000). النشر في القراءات العشر. بيروت: دار الكتب العلمية.

10. أبو الحسن بن الأثير. (1425). الكامل في التاريخ. بيروت: دار الكتب العلمية.

11. أبو الحسن ابن الأثير. (0000). اللباب في تهذيب الأنساب. بيروت: دار صادر.

12. أبو القاسم بن بشكوال. (1394). الصلة في معرفة أئمة الأندلس. القاهرة: مكتبة الخانجي.

13. بدر الدين الزركشي. (1376). البرهان في علوم القرآن. القاهرة: دار إحياء الكتب العلمية.

14. ياقوت الحموي. (1414). معجم الأدباء. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

15. خير الدين الزركلي. (2002). الأعلام. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.

16. عمر رضا كحالة. (0000). معجم المؤلفين. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

17. ياقوت الحموي. (1995). معجم البلدان. بيروت: دار صادر.

18. ابن حجر العسقلاني. (0000). لسان الميزان. الهند: دار المعارف النظامية.

19. تقي الدين الصرفيني. (1414). المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور. بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع.

20. عبد الحفيظ الهندي. (1427). الإمام الهذلي ومنهجه في كتاب الكامل. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

21. شمس الدين الذهبي. (2003). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

22. شمس الدين الذهبي. (1427). سير أعلام النبلاء. القاهرة: دار الحديث.

23. تاج الدين السبكي. (1413). طبقات الشافعية الكبرى. الرياض: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

24. أبو القاسم الهذلي. (1428). الكامل في القراءات الخمسين. القاهرة: مؤسسة سما للنشر والتوزيع.

25.أبو حيان الأندلسي. (1420). البحر المحيط في تفسير القرآن. بيروت: دار الفكر.

26.ابن حجر العسقلاني. (1418). 10. تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة. بيروت: مؤسسة الرسالة.

27.جلال الدين السيوطي. (1394). الإتقان في علوم القرآن. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.

28.ابن الجزري. (1999). منجد المقرئين ومرشد الطالبين. بيروت: دار الكتب العلمية.

29.السمين الحلبي. (0000). الدر المصون في الكتاب المكنون. دمشق: دار القلم.

30.أبو نصر بن ماكولا. (1990). الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

جائزة الجزائر لحفظ القرآن الكريم - 2021 -

نتائج مسابقة الفائز المتميز في طبعته الثانية

الاسم واللقب	الولاية	الرتبة
مصطفى شوكري	الجزائر	1
بوبكر عبد الهادي راجع	البيض	2
زينب بن يوسف	البويرة	3
عقيلة بن كروش	المسيلة	4
عبد الله يوسف سعيدي	المدية	5
عماريوسفي	المدية	6
نادية بوساق	المسيلة	7
إلياس بن سراي	سطيف	8
أسامة منشري	البليدة	9
صلاح الدين قسول	الشلف	10
رضوان براهيمي	البويرة	11
عبد الودود بن سديرة	الجزائر	11
مريم شبلاوي	المدية	13

نتائج المسابقة التشجيعية لصغار حفظة القرآن الكريم

الاسم واللقب	الولاية	الرتبة
محمد عبد الإله شادلي	المدية	1
طالبي أسامة تقي الدين	برج بوعريريج	1
سلامة قاقي	باتنة	3
هيثم بدرالدين سلطان	بسكرة	4
عجاج فيصل	عين تموشنت	5
محمد نور الإسلام دعموش	سطيف	6
بلقوراري محمد عبد الرحمان	غليزان	7
محمد طه حسين بوشعيب	الجلفة	8
مريم بن جودي	عنابة	9
نور الهدى بوجليدة	بجاية	10
ملاك شتوم	سكيكدة	11
أم كلثوم تشير	قسنطينة	12
سيد أحمد نجيب بن طاهر	وهران	13
عائشة داودي	البليدة	14
أسامة زغود	تيزي وزو	15

الأسبوع الوطني الثالث والعشرين للقرآن الكريم -2021-

الفرع الأول

الاسم واللقب	الولاية	الرتبة
راجع بوبكر عبد الهادي	البيض	1
سوالم فائز	برج بوعريريج	2
حمزة بن عاشور	مستغانم	3
يونس شقبقب	غرداية	4
حركات أحمد	الجزائر	5
ياسين موساوي	معسكر	6
هند مروش	ميلة	7
مرازي هاشمي	سيدي بلعباس	8
خالد بن سليمان	بومرداس	9
بن عبد الله نصيرة	تيارت	10
سمية أمير	البليدة	11
محمد لمين العيد	الجلفة	12
احمد سعيدي	تيزي وزو	13
شملال نسيبة	تلمسان	14
بتول عناد	قسنطينة	15

الفرع الثاني

الاسم واللقب	الولاية	الرتبة
محمد رضا زيان	المدية	1
تباني شيماء أنفال	المسيلة	2
حذيفة قريشي	باتنة	3
علاء كروش	سطيف	4
أحمد الشريف مناصري	ورقلة	5
أسامة عبد القادر قلقال	الشلف	6
زوزو ياسر	الوادي	7
يوسف بن جودي	بسكرة	8
عبد الرحمان عياد	عين الدفلى	9
رضوان براهيمي	البويرة	10
لينة بن ناجي	البليدة	11
سفاني موسى	تلمسان	12
عجاج محمد الأمين	عين تموشنت	13
قادة بكاري	معسكر	14
عفان توبة	برج بوعريريج	15

الفرع الثالث

الاسم واللقب	الولاية	الرتبة
فريال ولدالي	المدية	1
سحنون بوزيد عبد الودود	وهران	2
مريم بن مرابط	سطيف	3
ابراهيم يادني	سيدي بلعباس	4
بن جودي مريم	المسيلة	5
بلقوراري محمد عبد الرحمان	غليزان	6
أنس لعجل	قسنطينة	7
هيثم بدرالدين سلطان	بسكرة	8
خيرة بكاري	معسكر	9
هيثم حفصي	باتنة	10
زيد التركي الداوي	ورقلة	11
عبد الخالق بودودة	قالمة	12
حليمة السعدية بلكحل	مستغانم	13
محمد طه حسين بوشعيب	الجلفة	14
بلقوراري صارة	تلمسان	15

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

البيان الختامي، وتوصيات
الأسبوع الوطني الثالث والعشرين للقرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

فتحت الرعاية السامية لرئيس الجمهورية السَّيد عبد المجيد تبون حفظه الله تعالى ورعاه، الذي يولي لأهل القرآن أهل الله وخاصته رعايته السامية.

وفي ظلال شهر ربيع الأنوار، شهر نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي تزامن مع ذكرى اليوم الوطني للهجرة، والاستعداد للاحتفالات بذكرى ثورة نوفمبر الخالدة، الحافلة ببطولات الشعب الجزائري ومواقفه الأبية من أجل الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية، وفي ظل المناورات البائسة اليائسة التي تستهدف وحدة الأمة الجزائرية ولحمتها الوطنية، وتاريخها الديني والوطني الزاخر بالأمجاد والأنجاد.

احتضنت الجزائر العاصمة، حاضرة سيدي عبد الرحمن الثعالبي، ومدينة معركة الجزائر، المعروفة بالعلم الأصيل، والتاريخ الأثيل، الأسبوعَ الوطني للقرآن الكريم في دورته الثالثة والعشرين، الذي نظمته وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر العاصمة، في تاريخ 19، 20 21، ربيع الأول 1443هـ الموافقة 26، 27، 28 أكتوبر 2021م، تحت رعاية رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون وبإشراف وزير الشؤون الدينية والأوقاف الدكتور يوسف بلمهدي، ومشاركة نخبة من أهل العلم والإمامة، وشيوخ الزوايا، وأساتذة الجامعة، وعمار المساجد من

الأئمة والمرشدات وأساتذة التعليم القرآني وأستاذاته، وحفظة القرآن الكريم، والضيوف الكرام من مختلف ولايات الوطن.

وقد تواشج في هذا الحدث القرآني العلمي، المسابقةُ الوطنيةُ للقرآن الكريم بفروعها الثلاثة التي يتنافس فيها أبناء الجزائر وبناتها، الحفظة المُجَوِّدونَ والمُجَوِّدات، في أشرف ميدان يتنافس فيه المتنافسون، بإشراف ثُلَّة من خيرة الأساتذة القراء المجازين.

وبعدَ الكلمة التَّرحيبية التأطيرية للسيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف، التي كانت بحق أرضية عمل لأشغال هذا الملتقى العلمي المبارك، وبعد أيَّام من أجواء التنافس الشريف في ميدان حفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره، والنظر الجادِّ، والبحث العميق، الذي عرفته المحاضرات العلمية، في موضوع «حب الوطن...البعد الأخلاقي، والالتزام الوطني»، اجتمعت لجنة توصيات الأسبوع القرآني، وخلصت إلى تسطير التوصيات الآتية:

1. تعزيز الوحدة الوطنية الجزائرية، وتقوية أسسها ومرتكزاتها، والاستمساك بالثوابت والمرجعية التي كانت وما زالت اللحمة التي وحدت الجزائريين عبر التاريخ.

2. الالتفاف حول جيشنا الوطني الشعبي، سليل جيش التحرير الوطني، في حماية وحدة الوطن، والدفاع عن حدوده، وتوفير بيئة الأمن والاستقرار التي تضمن التنمية المستدامة والسخاء والرخاء.

3. التعاون بين كل مؤسسات المجتمع وسائر المواطنين في خدمة الوطن وتنميته، والعمل على ترقيته وازدهاره، والمحافظة على خيراته ومكتسباته.

4. استمرار مؤسسات صناعة الرأي والتنشئة الاجتماعية في إذكاء مشاعر حب الوطن لدى المواطنين والمواطنات، لاسيما الشباب.

5. مضاعفة الاهتمام بدور الأسرة الريادي، باعتبارها المَحْضَنَ الأول

لغرس قيم الانتماء إلى الوطن، وحبه، والدفاع عن وحدته.

6. الالتفاف حول الخطاب الديني الأصيل، والنشاط الريادي للمسجد الذي كان وما يزال يدعو إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، ويعتبر الدين والوطن وجهين لعملة واحدة.

7. الاستثمار المستمر في المناهج الدراسية والمقررات التعليمية، لتهيئة الأجيال على حب الوطن والاعتزاز به، والدفاع عن وحدته وحدوده ومصالحه العليا، وتقوية روح المواطنة لدى أبناء المجتمع كله.

8. ترقية البحث العلمي المتعدد التخصصات، للإسهام في كل القضايا الوطنية، هوية، ووحدة، وتنمية.

9. بذل مزيد من الجهد لجاليتنا الجزائرية في الخارج، من أجل المحافظة على انتمائها الوطني وتقويته، لتسهم في بناء الوطن وتشييده.

10. الوقاية والحذر من كل العوامل والأسباب التي تضعف الروح الوطنية ومقومات المواطنة، وتسبب الفرقة والاختلاف والتنازع

11. اضطلاع وسائل الإعلام -بكل أشكالها- بالدور الاستراتيجي في الدفاع عن المصالح العليا للوطن، وخصوصا في ظل تحديات الانفجار الإعلامي السيبرياني.

12. التعريف بأعلام الجزائر في القديم والحديث، بمختلف الوسائل والأشكال والقنوات المتاحة، من أجل ربط الخلف بالسلف، في مسيرة حب الوطن، والدفاع عن وحدته، والتفاني في خدمته وتنميته.

واسترشادا بقول سيدنا رسول الله صلى الله وسلم: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»، حرصا على تثمين العمل الجليل الذي يستحقُّ الشكرَ الجزيلَ، فإنَّ المشاركين في هذا اللقاء القرآني العلمي، يرفعون أسمى معاني الشكر والعرفان إلى رئيس الجمهورية

السيد عبد المجيد تبون على هذه الرعاية السامية التي يمنحها لأسبوع القرآن الكريم، وعلى ما يسديه من الأيادي البيضاء لأهل القرآن أهل الله وخاصته.

والشكر موصول إلى السيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف الدكتور يوسف بلمهدي على إشرافه المباشر، وعلى مساعيه الجليلة في خدمة الدين والوطن.

والشكر موصول إلى القائمين والمسؤولين على فندق الجيش، على كرم الضيافة وحسن الاستقبال، التي حظي بها المشاركون في هذا الهيكل الذي يزخر به الجيش الوطني الشعبي، سليل جيش التحرير الوطني.

وإلى كافة المشاركين في هذا الأسبوع الوطني الثالث والعشرين للقرآن الكريم، من السادة العلماء، والأساتذة، وشيوخ الزوايا، وأبنائنا وبناتنا حفظة القرآن الكريم، وإلى سائر المشاركين والمساهمين والمُمَوِّلين والأسرة الإعلامية، ورجال الخفاء على جهودهم المعتبرة لإنجاح هذا المحفل العلمي القرآني.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الجزائر العاصمة في 21 ربيع الأول عام 1443 الموافق 28 أكتوبر سنة 2021.

المولد النبوي بعث للمحبة والشكر

أ. بشير قدوري
إمام بمسجد خالد بن الوليد، وادي البسباس- المدية

الخطبة الأولى:

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن من أعظم وأجل النعم التي من الله تعالى بها علينا أن جعلنا من أهل الإسلام والقرآن ومن أمة خير الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: 164].

أيها المؤمنون إن من شكر النعمة أن نعرفها ونستشعرها ونذكرها...

ففي سورة الضحى بعد أن امتن الله على نبينا صلى الله عليه وسلم بنعمة الرعاية والهداية ودله على أبواب الخير والمعروف قال له: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

وينبهنا الله سبحانه وتعالى ويحثنا في كثير من الآيات القرآنية إلى أهمية الاستذكار والمذاكرة واستشعار النعم

وخاصة نعمة الهداية والانشراح للإسلام واتباع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[البقرة: 151 - 153].

قال الإمام ابن كثير:

«يُذَكِّرُ الله تعالى عباده المؤمنين ما أنعم الله به عليهم من بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إليهم يتلو آيات الله مبينات ويزكيهم أي يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس... ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الكتاب وهو القرآن، والحكمة وهي السنة، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون في جاهلية الجهلاء...

ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾.

أيها المؤمنون تمر بنا في شهر الأنوار ربيع الأول ذكرى مولده صلى الله عليه وسلم، حيث النور الذي أزال الله به الظلمات وحلت به الرحمات، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[الحديد: 09].

وبمولده صلى الله عليه وسلم وبمبعثه وبرسالته حلت الهداية، وانشرحت الصدور، وسكنت النفوس، واطمأنت القلوب، وعمت الرحمة والأخوة والمحبة، وأذهب الله الظلمات، وأنار العقول. قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: 122].

وصدق الشاعر الذي قال:

ما كان ميلاد الرسول المصطفى

إلا الربيع نضارة وتضوعا

يـوم أغـر كـفـاك منـه أنـه

يوم كأن الدهر فيه تجمعا

يوم يتيه على الزمـان صباحـه

ومسـاؤه بمحمد وضـاء

وصدق من قال:

إنَّ الرَّسُولَ لَنورٌ يُسْتَضاءُ بِهِ

مُهَنَّـدٌ مِنْ سُيوفِ اللهِ مَسْلُولُ

أيها المؤمنونإن الذي يعيش الرسول صلى الله عليه وسلم بذكراه في وجدانه وقلبه وحياته لهو في نور على نور، قال الله تعالى: الشورى:

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى: 52].

ورحم الله الشاعر الذي قال:

ليلي بوجهك مشـرق

وظلامه في الناس ساري

الناس في سدف النهار

ونحن في ضوء النهـار

ورحم الله الإمام المصلح المجاهد عبد الحميد بن باديس الذي ربى الجزائريين على حب الإسلام وحب نبيهم وحب الجزائر، حيث كان يستغل المناسبات الدينية للتذكير وبعث الإيمان والمحبة في النفوس والقلوب، ففي مناسبة المولد النبوي الشريف عام 1939 قال: «**أيها المسلمون في مثل هذا اليوم انبثق النور الذي هداكم الله تعالى به إلى الإسلام، وجعلكم خير أمة أخرجت للناس ما دمتم بالمعروف تأمرون وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله، فعودوا بالذكرى إلى حياة النبي الكريم فاستمدوا منها نور إيمانكم، وجددوا بها صرح توحيدكم،**

وحصنوا بها قلوبكم من جهالات الغفلة وظلمات الشرك ونزغات الشيطان».

أيها المؤمنون نقف في هذا الشهر ربيع الأول ربيع الأنوار الذي شرفه الله بمولد خير الأنام سيد ولد آدم إمام الأنبياء والمرسلين وقدوة الأتقياء، حيث يجب علينا في ذكرى مولده أن نزداد إيمانا وحبا وشوقا وحنينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن اتباعه سكينة وطمأنينة وحياة طيبة وفوز وفلاح في الآخرة قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:69].

ومحبته صلى الله عليه وسلم من تمام الإيمان وكماله، قال عليه الصلاة والسلام: «لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِهِ، ووالدِهِ، والناسِ أجمعينَ».

وقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجَدَ حلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبُّ إليه مِمَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المرْءَ لا يُحبُّهُ إلَّا لله، وأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ بعدَ إذْ أنقذَهُ اللهُ مِنْهُ؛ كَما يَكرَهُ أنْ يُلْقى في النارِ».

ومن الدعائم التي أقام عليها الرسول صلى الله عليه وسلم المجتمع المنير بالمدينة الأخوة والمحبة بين المهاجرين والأنصار، وما بلغ الصحابة رضوان الله عليهم مبلغا سامقا من الخيرية والكمال البشري فرضي الله عنهم ورضوا عنه إلا أنهم عايشوا النبي صلى الله عليه وسلم، واقتبسوا من نوره، واستضاءوا بسراجه، وتعلقوا به وأحبوه أكثر من كل شيء، ويبذلون أموالهم وأولادهم رضا له وفي سبيل الله، كما وصف حالهم عروة بن مسعود لقريش في صلح الحديبية وكان لم يسلم بعد، قال: «يا قَوْمِ، واللَّهِ لقَدْ وفَدْتُ علَى المُلُوكِ، ووَفَدْتُ علَى قَيْصَرَ، وكِسْرَى، والنَّجَاشِيِّ، واللَّهِ

إنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أصْحَابُهُ ما يُعَظِّمُ أصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُحَمَّدًا؛ واللَّهِ إنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلَّا وقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهمْ، فَدَلَكَ بها وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذَا أمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أمْرَهُ، وإذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا له، وإذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ على وَضُوئِهِ»،- ما بقي من وضوئه-.

أيها المؤمنون إن الله تعالى رفع قدر ومنزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجعله سيد ولد آدم وخصه بخصائص وفضائل عن جميع الأنبياء والمرسلين قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧﴾ [الأحزاب: 45 - 47].

وأخذ الله له العهد والميثاق من الأنبياء أن يتبعوه ويبشروا به قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ [آل عمران: 81]

أيها المؤمنون خص الله تعالى بفضله رسولنا صلى الله عليه وسلم بخصائص منها قال عليه الصلاة والسلام: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ مِنَ الأنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأَيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي الغَنَائِمُ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ».

أيها المؤمنون وبعثة رسولنا صلى الله عليه وسلم رفع للحرج وتمام للنعمة ورحمة للعالمين ورسالته النور الخالد إلى يوم الدين قال الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: 157 - 158].

أيها المؤمنون هذا السبيل وهذا النور وهذا الطريق فهل من سالك على خطى الصحابة رضوان الله عليهم...

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وأصلي وأسلم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: 31]، وقال عليه الصلاة والسلام: **«من أَشَدِّ أُمَّتي حُبًّا لي ناسٌ يكونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أحدُهُمْ لَوْ يُعْطِي أَهْلَهُ ومالَهُ بِأنْ يَرَانِيَ»**، وقال صلى الله عليه وسلم: **«المَرْءُ مع مَن أحَبَّ»**، فرح الصحابة فرحا شديدا بهذا الحديث لأنهم كانوا يحبون الله ورسوله ويسعون بينهم بالمحبة وما يبعثها وينميها كالسلام والمصافحة..

يقول العالم الرباني محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى: وإذا سألت عن السبيل إلى مثل هذه المحبة فاعلم أنها في كثرة الذكر، وكثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي كثرة التفكر والتأمل في آلاء الله ونعمه عليك وفي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله، وهذا كله بعد الاستقامة في العبادات في خشية وحضور والتبتل إلى الله بين الحين والآخر.

أيها المؤمنون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآنا يمشي رحمة ونفعا للناس... يقوم الليل حتى تتورم قدماه، يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء... وبث لنا أشواقه ومحبته وأنه سيعرفنا بأثر الوضوء، وشفاعته بأن نسأل له الوسيلة والمقام المحمود بعد الأذان وحذرنا من مغبة الانحراف عن نهجه ومسلكه كما صح في الحديث أنه قال صلى الله عليه وسلم: « إِنِّي على الحوضِ، حتى أنظرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ منكم، وسيؤخذُ أناسٌ دوني، فأقولُ: يا ربِّ منِّي وَمِنْ أُمَّتِي فيقالُ: هل شعَرْتَ ما عمِلُوا بعدَكَ؟ واللهِ ما برِحُوا بعدَكَ يرجِعونَ على أعقابِهم».

أيها المؤمنون قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾ [الفتح: 08]، إن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته وتوقيره فريضة وواجب على كل مسلم فعلينا أن نتدارس ونتذاكر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته لأنها مبعث للإيمان والتزكية والفهم الصحيح لهذا الدين ومحبة الله ورسوله والمؤمنين. يقول الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى: **«السيرة النبوية تنمي الإيمان وتزكي الخلق وتلهب الكفاح وتغري باعتناق الحق والوفاء له»**، ويجب علينا أن نفرح ونفتخر بانتمائنا الديني والوطني قال الله تعالى في الآية 58 من سورة يونس:

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾، قال أبو سعيد الخدري وابن عباس رضي لالله عنهما: فضل الله القرآن ورحمته الإسلام..، وأن نقف بالعبرة والعظة مع أيام الله الخالدة لأنها تجدد العهد وتوثق الرابطة الوطنية وتورث البناء الفاعل وتدعو للشكر قال تعالى في سورة إبراهيم:

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

وبكثرة الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم والاستماع إلى أقواله والتفاعل مع أفعاله ينمو الحب والشوق إليه، كان صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة فلما تحول عليه الصلاة والسلام إلى المنبر حن الجذع شوقا إلى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل عليه الصلاة والسلام من المنبر إليه فمسح عليه فسكن.

كان الإمام الحسن البصري يحدث بهذا الحديث ويبكي ويقول: أوليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه.

قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: 56]، فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم أرزقنا حبك وحب نبيك وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك وثبتنا على دينك ورضاك حتى نلقى حبيبنا صلى الله عليه وسلم وهو راض عنا فَرِحٌ بنا....